جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

حنان الياسين

جاسوسة الموساد الجائعة

مكتبة الجاسوسية مكتبة الجاسوسية مكتبة الجاسوسية مكتبة الجاسوسية

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م

فريد الفالوجي



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن.. فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

حنان الياسين :

ممرضة لبنانية جميلة .. استغل الإسرائيليون عدم ولائها وحبها للمال للتجسس على رجال حزب الله لصالح المخابرات الإسرائيلية، فكشفت لهم عدداً كبيراً من المتعاملين مع حزب الله، فاستطاعت إسرائيل إحباط كثير من عمليات تسلل أفراد الحزب، واستشهد فى ذلك عدد غير قليل ، كما أنها جندت زوجها فى عمليات التجسس ، فقادته إلى الإعدام، وانتهى بها المطاف فى السجن ومازالت به حتى الآن.

الناشر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

حنان الياسين

جاسوسة الموساد الجائعة

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
٩٧٧-٣٩٩-٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة فتاة لبنانية عملت لصالح الموساد .. ودفعت الرجل الذى أحبته لكى يعاونها فى عملها السرى .. ولأنه يحبها لحد الجنون استجاب لها .. وقام بعمليات إرهابية ضد حزب الله حتى تم كشفه ثم اصطياده لينال حكما بالإعدام . أما هى .. فقد حكم عليها بالسجن .. ينهشها صقيع الوحدة والألم ..!!

فريد الفالوجي

القاهرة - مدينة نصر

حنان الياسين



جاسوسة الموساد التى عملت ضد (حزب الله).. وأحبت لبنانياً شجعته على خيانة وطنه أيضاً.. بل وساعدته بكل ما فى وسعها حتى النهاية .. وعندما سقطا فى قبضة الأمن اللبنانى دافعت عن حبيبها بكل صدق .. بينما اتهمها هو.. وبرغم إعدامه فما زالت تعترف بحبها الجارف له ...!!

السيرة الملوثة

كانت رقيقة فاتنة بحق .. ناعمة الصوت .. ناعسة النظرات التى ترسل شعاعات جاذبة لا تقاوم .. ذات شفتان كحبتا كرز اكتنزتا بالاحمرار والرواء .. تحملان فى انفراجهما المثير دعوة صريحة للقطف.

إنها حنان الياسين الممرضة اللبنانية بمستشفى الناقورة فى الجنوب اللبنانى. وهى فتاة تعدت العشرين ربيعاً بقليل، ذات جذور ألبانية الأصل امتزجت بسحر الشرق وحرارته فأثمر التزاوج عن جمال فتان لا يقاوم.

وقعت الناقورة فى محنة مشكلة الجنوب اللبنانى والاستيلاء عليه من قبل قوات أنطوان لحد الموالية لإسرائيل، مثلها مثل عشرات القرى الأخرى فى الأقضية المختلفة، وانعزلت المنطقة عن الشمال اللبنانى انعزالاً مؤلماً شجع العديد من سكانها على الهرب شمالاً بعد ما ضاقت بهم سبل الرزق وافتقدوا الأمان.

بيد أن أحمد عبد البديع الحلاق المقيم بقرية (برجا) شمالى صيدا.. والذى يعمل سائقاً متنقلاً بين القرى .. تصادف أن رأى

حنان الياسين .. فانفرط عقد مقاومته وظل يمنى نفسه باحتواء هذا الجمال الأفروديتى بين يديه.

كان أحمد الحلاق شاباً متهورا سيئ السمعة .. حيث اشتهر فى محيط قريته بأنه لص لا أمان له .. نتيجة تعديه بالسرقة على العديد من المصانع والورش التى عمل بها، مما أدى إلى تعطله عن العمل، فاضطر والده لأن يشترى له سيارة نقل صغيرة ينفق من عائدها على نفسه، وعلى زوجته (حورية)، وابنته (وهيبة)، وابنه (هيثم).

ولد أحمد عبد البديع الحلاق عام ١٩٥١ لأسرة مسلمة شيعية متوسطة الدخل، وكان ترتيبه الرابع بين أخوته، وأكبر الذكور حيث استبشر به والده خيرا عند ولادته، فقد كان يأمل فى تربيته تربية طيبة ليعينه عند الكبر.

إلا أن الابن الذى شب بلا طموح أو هدف لم يكن يفكر سوى فى اللهو، وبصعوبة شديدة حصل على مؤهل متوسط عام ١٩٦٨، وبدا حياته العملية بالسرقة، وطالت يده كل شىء ثم عرف طريق الخمر والقمار والنساء، حتى طرد من كل عمل التحق به، تسبقه سيرته الملوثة أينما حل.

وفى الخامس عشر من مارس ١٩٧٨ بدأ اجتياح إسرائيلى واسع

لجنوب لبنان، برا وبحرا وجوا، قام به أكثر من ثلاثين ألف جندى إسرائيلى، وعلى الشريط الساحلى، بهدف تصفية المقاومة الفلسطينية، بتوجيه ضربة عسكرية مميتة لها فى لبنان، والتمهيد لإنشاء الكانتون الطائفى على الشريط الحدودى، وإحلال عميلها «سعد حداد» فى القرى التى ستضطر إلى الانسحاب منها.

الــــولاء الــمــفــتــقــد

وبالرغم من موجة الحماس الشعبية العارمة للشعب اللبنانى، إلا أن هروب آلاف السكان من الجنوب إلى الشمال، ضيق مجالات العمل فى كثير من المهن والمحاور، وكان أحمد الحلاق، أحد المتضررين، إذ لم يجد أمامه سوى العمل فى ورشة للإصلاح الشاحنات، سرعان ما تعلم بها القيادة، وإصلاح الأعطال الميكانيكية.

لكنه، وهو المتوقع، عجز عن إصلاح نفسه وكبح جماح شهوته الشرهة للسرقة، إذ امتدت يده من جديد إلى قطع الغيار والإطارات .. فطار منه العمل فى ذات الوقت الذى رزق فيه بمولودته الأولى: (وهيبة) عام ١٩٨٠، ثم جاء ابنه (هيثم) بعدها بسنوات قليلة.

وبينما كان أحمد الحلاق يتخبط فى الضياع، نجح أخواه الأصغر منه، شفيق وخالد، فى حياتهما العملية. فالأول عمل بالتجارة ونجح ، وأقام الثانى بيروت حيث انشغل هناك بالعمل فى الإلكترونيات.

ومع بشائر عام ١٩٨٧، كان أحمد الحلاق ما يزال على حاله، فهو فى عمله المستمر الشاق نهارا، وسهرات الخمر والحشيش ليلاً، ثم مشاجرات عائلية لا تتوقف أو تهدأ .

وبالرغم من تطورات الوضع السيئ فى جنوب لبنان، وصعوبة الحركة بالنسبة لسيارات محافظة الجبل، إلا أن أحمد الحلاق كان قد عرف بالمنطقة، لتحركه المستمر بها طوال تلك السنوات، وحفظ رجال الأمن والكمائن وجهه واسمه، ولم يشكوا فى أنه قد يمثل أدنى خطورة على أمنهم المزعزع، بتوالى ضربات حزب الله لكل مفاصل جيش الجنوب، ووحداته، وقواعده الثابتة والمتحركة ودوريات الجيش الإسرائيلي.

وعندما التقى الحلاق بحنان الياسين، كانت تصغره بسبعة عشر عاماً، إلا أنه تعلق بها، وباتت المسافة بين قريته والناقورة، حوالى ثمانون كيلو متراً، تمثل لديه أجمل رحلة يقطعها عن كل يوم، نهارا أو ليلاً .. إذ خلق منه الحب إنساناً آخر أكثر تحملاً، رقيق النفس ساكن الطباع.

وأرجعته رجفة العشق، بعد طول جفاف، طفلاً، تتلظى عروقه العطشى بدماء لاسعة، تنبض بفيض جبار، عات، للشعور الجديد الذى اكتنفه واحتواه.

بيد أن حنان الياسين لم تكن تهتم به فى البداية أو تلتفت لعاطفته ومطاردته لها. فقد كانت متخمة بالعمل بالمستشفى كممرضة، وكعميلة للموساد قام على تجنيدها ضابط فى جيش لبنان الجنوبى اسمه (رينيه البياضى)، وكان ذلك فى غمرة بحثها عمن يضمن لها ولأسرتها حياة آمنة فى الجنوب، لذلك استجابت للعمل معه لأنها كألبانية الأصل، كانت لا تحمل ولاءً كاملاً للبنان الذى ولدت على أرضه.

العيون الظامئة

وبعد اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ للقضاء على القوات الفلسطينية فى الجنوب وطردها من لبنان، ظهرت المقاومة اللبنانية المتمثلة فى العديد من التنظيمات والأحزاب.. وبرز من بينها (حزب الله) الذى أرهقت عملياته إسرائيل .. حتى بات يمثل الرعب القاتل الآتى من حيث لا تدرى الاستخبارات الإسرائيلية .. ولا يمكن توقع عملياته المستقبلية.

لذلك .. نشطت الاستخبارات الإسرائيلية بالتعاون مع جيش

لبنان الجنوبى فى استقطاب العديد من المخبرين، والعملاء، وتدريبهم فى ثكنات عسكرية خاصة، وداخل إسرائيل أيضاً، ليكونوا عيوناً ساهرة ترصد تحركات رجال حزب الله، والناشطين من قيادته وخبرائه الأمنيين، ومراقبة العاملين معهم من الجنوبيين، للحد من الضربات المتوالية لرجال المقاومة، التى أربكت نظريات الأمن الإسرائيلية،وأفشلتها.

وكانت المرضة الحسناء حنان الياسين، القطة الوديعة البريئة الوجه، إحدى أدوات الحرب السرية بين المخابرات الإسرائيلية، وحزب الله.

بعد تدريبها انحصر دورها الأولى فى ملاحظة المرضى من سكان الجنوب، الذين يترددون على مستشفى الناقورة، وفتح حوارات مطولة معهم تعلمت كيف تستخلص منها الآراء والأسرار، ولكونها فتاة رائعة الجمال، ومتحدثة لبقة، تجيد فن الحوار والوصول إلى النقاط التى ترغب بالوصول إليها، كان من السهل عليها أن تنخرط فى عملها بلا أدنى صعوبة تذكر.

بعدها .. تعدت عميلة الموساد مرحلة التحاور، إلى مستوى أعلى فى أعمال الجاسوسية، وهو كتابة التقارير التفصيلية، بتحليلاتها، بعد استدراج المرضى من مختلف الاتجاهات والملل، اعتمادا على الحالة النفسية للمريض، ومدى تعلقه بممرضته

البشوشة الفاتنة، والاطمئنان إليها.

وخلال فترة وجيزة فى العمل لصالح الاستخبارات الإسرائيلية، تمكنت العميلة الناعمة من الكشف عن العديد من المتعالين مع حزب الله، وأمكن بالتالى إحباط عمليات تسلل لأفراد من الحزب، استشهد الكثيرين منهم وهم يراقبون الثكنات والمواقع العسكرية الإسرائيلية، ويرسمون خرائط كروكية لها، بتفصيلات الحراسات والتسليح.

ولما تبين لقائدها رينيه البياضى مدى استفحال مواهبها فى التجسس، وعشقها للمال، أخضعها لدورات تدريبية أخرى بغرض زيادة الكفاءة، والإبقاء على الحس الأمنى لديها فى حالة يقظة دائمة، تخوفاً من وقوعها بين فكى كماشة رجال مخابرات حزب الله، هؤلاء الذين ينقبون بشكل دءوب عن عيون، وآذان، وأعوان لهم فى الجنوب.

الحلب الساخن

لم تكن حنان الياسين، وبرغم العيون الظامئة التى تفترسها كل لحظة، صيدا سهل المنال. فقد علمتها الحياة كيف تحمى نفسها، وألا تنهار إرادتها فى استسلام لعبارات الغزل المتناثرة، فتنخدع بمعسوله، كما فعلت من قبل صديقة لها أحبت، ومنحت

الحبيب أثمن ما تملكه، فهرب إلى خارج لبنان وتموت هى بالمستشفى، إثر عملية إجهاض فاشلة.

هكذا كانت حنان قوية، متمردة على احساساتها كأنثى، توأد تفاعلاتها الداخلية فى قرار بعيد، لأجل ألا تقع فى خطأ الحب، ويتحكم بها الحبيب كزهرة فى محب الريح.

أحلامها الوردية كانت فى حجم أنوثتها، ثرية، متعاظمة، انصبت فقط على المال والثراء. فالحياة الخانقة فى الجنوب كانت مدعاة لأن تبحث عن المال، وتدخره لما هو أسوأ. خاصة.. وانفجارات القذائف والطلقات مستمرة لا تتوقف، ولا يعلم مخلوق متى يحل الأمن ويسود الأمان.

صور لها خيالها أن الإثراء، ولو بطريق التجسس، هو الضمان الوحيد لأمنها، وأمن أسرتها رقيقة الحال، بل إنه الطريق المعد للمجد والجاه.

وعلى ذلك .. فقد نظرت إلى ملاحقات هذا العاشق المهووس، أحمد الحلاق، بلا اهتمام فى البداية، واعتقدت أن رحلاته اليومية من محافظة جبل لبنان، إلى آخر مدن محافظة لبنان الجنوبى، ستهدأ بعدها يتملكه الضجر واليأس. لكن مطاردته لها كانت فى ازدياد، فأرادت استثمار حالة الوله التى أغرقته، واستغلاله لصالح مهامها التجسسية، عملاً بنظرية (الحلب

الساخن) فى عالم المخابرات.

وتعتمد هذه النظرية على حاسة العميل المدرب، فى قراءة الأشخاص الذين يصادفهم ميل لمصادقته، فتتكون لديه صورة بيانية مقروءة، غالباً ما تكون صحيحة.

أضعف من فراشة

التقت حنان بالحلاق وهى مشوقة لأخبار جديدة، تدر عليها مبالغ أخرى تزيد حجم مدخراتها. لكنها، ولأول مرة، تفشل فشلاً ذريعاً فى فتح مغاليق أسراره، ومعلوماته. فسهام العشق كانت بادية فى عينية، وكذا من ارتجافات حروفه وأطرافه، كأنما الواقف أمامها تلميذ صغير فى مدرسة الحب لأول مرة. هذا ما حيره أيضاً، وأربكه . فلسانه المفوه أصابه العطب، وفرت على حين فجأة كلماته الجريئة التى اعتاد قذفها لكل امرأة بلا عناء.

إن فتاته هذه المرة تختلف، فكل ما بها يضج بالأنوثة الطاغية، ويفصح عن جمال عذرى ندى، يفتك بمجامع عقله، وتصطخب له الخفقات فى تسارع حاد، مزج بدفق حريرى متناغم مع صدى دقاته الحانية.

هى الأخرى اكتشفت تبدلات بداخلها، لا تخطئها المرأة إذا أوشكت على الوقوع فى الحب، فاستغرقها الشعور اللذيذ الذى

حرمته، وسمحت لسهامه أن تخترقها، وتمس شغاف القلب مسًا رقيقًا أرعش خيالها، وأيقظ فيها أحاسيس الهوى.

عرض عليها الحلاق الزواج والعيش معاً فى بيروت، وكان الأمر بالنسبة لها جديدا، فقد كان الجميع يريدونها عشيقة يستأثرون بجسدها، ويجنون قطوف ثمارها المسكرة.

وأخذ الحلاق يطاردها، ويحاصرها فى كل مكان، فاستعذبت لعبة العشق، وسخرت كل مواهبها للإبقاء عليه فى حالة فوران لا تنتهى، إلى أن تتحين الفرصة المناسبة لمفاتحة أهلها، ومغادرة جنوب لبنان إلى الأبد.

هكذا، وبدلاً من استثماره كمصدر للمعلومات عن المقاومة، وقعت فى حبه، واعتصرتها لهفة الشوق إليه إن غاب فى عمله،وأحست معه كما لو أنها طائر غرد يحلق بين السحاب، ويسعى إلى النجوم، وأيقنت بأنها ضعيفة أمامه، أضعف من فراشة برية.

عناق الجواسيس

وقعت حنان الياسين فى الحب، وهى عميلة الموساد المدربة. وحب العميلات ممنوع ومحرم.

فأجهزة المخابرات العالمية، دائماً ما تحذر عميلاتها من الوقوع في شرك الحب، ذلك لأن الحب هو نقطة الضعف الوحيدة عند نساء الجاسوسية التي تقود إلى انكشافهن، وسقوطهن، أو تحولهن إلى عميلات مزدوجات.

وفي عالم المخابرات والجاسوسية، هناك عشرات القصص المثيرة، والمأسوية، لجاسوسات استعملهن حقهن الطبيعي في الحب، وكانت النهاية قاسية، جدا، ومفجعة.

هذا الأمر ليس ممنوعاً للنساء الجاسوسات فقط، بل يحذر منه الجواسيس من الذكور أيضاً، فالرجل، أمام دفقة الحب يفقد اتزانه، ويتحول إلى مخلوق ضعيف يسهل تطويعه، وكذلك الحال مع المرأة.

لذلك .. صرخ رينيه البياضي في وجه حنان الياسين، عندما أخبرته برغبتها في الزواج من أحمد الحلاق، واعتزال العمل التجسسي لأنها ستقيم ببيروت.

حذرها ضابط الموساد، من استمرار علاقتها بالحلاق، فربما يكون مدسوساً من جهاز أمن حزب الله، لكن العاشقة الولهى دافعت عن حبيبها باستماتة أذهلت قائدها، وهددته بأنها قد تفكر بالانتحار إذا لم يستجيب لمطالبها، وينهي علاقتها إلى الأبد بجهاز المخابرات الإسرائيلي.

لم تكن بقادرة على هجر حبيبها، أو فقده، فحبها لم يترك لها مساحة من الصبر لتقاومه، وتدفعه عنها.

وبرغم صدمتها القاسية من أوامر رئيسها المتشددة، انقلب رفضه عكسياً على مشاعرها ، وفكرها. إذ تعمق بداخلها الأمل، وتحرك مارد جبار من الإصرار يصعب ترويضه، وانفجرت ينابيع عمرها ملأى بالعشق المجنون، الذى يفوق الإعصار فى جبروته.

وأغدقت على حبيبها حناناً رائعاً أذكى فؤاده، وعندما هددها رينيه بغضبه الشديد، الذى سينزل عليها وعلى أفراد أسرتها، أظلمت الدنيا فى وجهها،وقررت أن تطرد الحلاق من حياتها إلى الأبد.

فتجاهلته فى البداية، وتهربت منه غصباً عنها وهى تتلظى، وتحترق، وتذوب كذوبان الثلج فى أتون الألم، والمعاناة ، وتذبح صبرها فى وهن تكابده، بلا فائدة.

فالحب فى الشرايين كالدم، سائل الحياة للبشر، كيف تفصله عن خلاياها، وتسحبه من نخاع حياتها..؟

وفى لحظة ضعف وصدق، ائتلفا معاً، لم تتغلب على هاجس أطاح بصبرها، فصارحت الحبيب بالحقيقة،لعله يهرب بحياته

بعيدا عنها، مخلفا ورائه أنفاس الذكرى شـذا يعطـر خيالهـا، لكنـه التزم الصمت مبهوتا، ومصدوما ، فعادت وأكدت استحالة زواجهما غصبا عن رينيه، والموساد.

اللـص الوطـــنى

وفى ثورة انغماسها فى بحر من الصدق، والمثالية، تمنت لـو أنـه يضربها، يجرهـا سحلاً علـى الأرض ويغـرق وجهها بصقـا ولطمـا، ويطأ هذا الحب بلا تـردد.

وانتظـرت طويـلاً وهـى ترتجف، فنظراتــه الزائغــة المتقلبــة أخافتـها، حتـى خيـل إليـها أنـه سينقض عليها لا محالــة، غارسـا أظافره فى عنقها، يتشفى بمنظر دمها المراق.

وبصوت هادئ سألها:

ـ أواثقة أن تهديداته جادة ..؟

بثقة أجابت:

ـ نعم .. إنه جاد فيما يقوله.

كرر سؤاله:

ـ أكيد ..؟

ردت بسرعة:

ـ أكيد يا أحمد، فدخول المصيدة ليس كالخروج منها. إنه ضابط مخابرات لا قلب له، قاسٍ، يكره الرحمة. وهذه هى أجهزة الاستخبارات ورجالها.

سألها:

ـ ولو أننا تزوجنا هنا .. هل سيمانع فى ذلك أيضاً..؟

أجابت:

ـ لا أعرف بالضبط ماذا سيكون رد فعله.. فهو يشك فى كونك عميل لحزب الله.!!

قطب جبينه متعجباً وقال:

ـ حزب الله..؟ مالى أنا وحزب الله ..؟ إننى أكره السياسة وحزب الله والمنظمة الفلسطينية، لقد تسببت المقاومة فى خراب بنان، وانهياره.

قالت حنان:

ـ ألا تكرهنى أيضاً ..؟

زفر قائلاً:

ـ أكرهك..؟ كيف وأنت الهواء لى .. والحياة ..؟ أنت ضحية الظروف القاسية فى الجنوب، وبرغم كل شئ أريدك زوجة لى ولو

أكرهت على التعامل مع الشيطان نفسه.

لطمتها المفاجأة وقالت بنبرة تفيض بالأسى:

ـ أتوافق إذن على عملى معهم؟

أجاب بلا تردد:

ـ إنك لا تسببين ضررا لأحد .. فلبنان هو لبنان بشماله وجنوبه . المهم هو المقابل الذى تتحصلين عليه، لقاء عملك.

وأردف وهو يهز رأسه:

ـ أعرف أنهم يدفعون بسخاء لمن يأتيهم بمعلومات أكيدة عن المقاومة اللبنانية وتنظيم أفرادها وتسليحهم وخطط تحركاتهم فى حزب الله، وأنت ... ، من أين تجيئك المعلومات..؟

فى تردد وحذر:

ـ المرضى وزوارهم فى المستشفى يثقون بى، ويتكلمون كثيرا عن أسرارهم.

علق بتعجب:

ـ وهل هذا يكفى..؟ إن هذا لا يعد تجسساً بالمعنى الشائع عن أجهزة المخابرات.

ثم أضاف:

ـ غباء منهم أن تكون أسرار حزب الله، مستقاة من أفواه المرضى والزوار!

وأكمل:

- المعلومات الحقيقية فى الضاحية الجنوبية فى بيروت، فهناك تطبخ العمليات وترسم الخطط. هؤلاء المغرورون (يقصد حزب الله) يظنون أن بمقدورهم مجابهة إسرائيل، وتحدى جيشها وطائراتها.

قالت وهى لا تصدق:

ـ لو سمعك الآن رينيه البياضى لقام وعانقك.. فأنت تتكلم كرجل مخابرات.!!

بثقة فى قدراته قال لها:

ـ هذه هى الحقيقة، فعمليات الحزب الفدائية ضد إسرائيل تضر بأمن لبنان أكثر مما تفيد، لأن إسرائيل بعد كل عملية ترد بقصف المدن والمنشآت والبنية التحتية . ألا يعد هذا جنوناً، وبطولات زائفة لسنا بحاجة إليها ..؟

وهى لا تفهم شيئاً مما يقوله:

ـ نعم .. نعم .. لسنا بقوة إسرائيل، وأمريكا، لكن حزب الله يظن غير ذلك..!!

لحظات قاسية

صدمت حنان الياسين مما قاله الحلاق، وإن اعتراها شعور خفى ببعض الاطمئنان، فمعنى موافقته على عملها التجسسى زواجهما الأكيد . فقائدها رينيه البياضى قد يريحه بقائها فى الناقورة إلى جواره، وعندها سيوافق حتماً على أن يتزوجا، دون إثارة عراقيل أخرى.

هكذا قفزت علاقتها بالحلاق خطوة هامة صعبة، كانت ستحتاج وقتاً طويلاً بدون حديث المصارحة. وباتت العميلة العاشقة ليلتها قريرة العين، تسبح فى بحر من الانتشاء، تنتظر مقابلة قائدها لتفضى إليه بما جرى.

لكن انتظارها طال فى نهار اليوم التالى، والذى يليه، ولم يتصل بها رينيه بالمستشفى كعادته، أو يرسل فى طلبها، مما أصابها بقلق دفين.

اختفى أيضاً أحمد الحلاق، وتخلف لأول مرة عن موعده معها لزيارة أسرتها، وامتد غيابه لأربعة أيام، فقدت خلالها الأمل حول فكرة هروبه بعيدا عنها، أو لكونه أحد رجال حزب الله، كما ظن رينيه، لذلك اختفى فجأة بعد ما حصل منها على أسرار عملها

لصالح الموساد.

كبر لديها الشك، ونفرت عروق الخوف مما هو آت، فها هو رينيه يتهددها بالهلاك، من ناحية، وحزب الله سيأخذ بثأره منها، من ناحية أخرى.

تحت جلدها كان الارتجاف بشعاً لا يحتمل فالمصيبة كانت أكبر كثيرا من عقلها، ومن تخيلها. والخوف كالإبر، له نبش ناخر يوقظ الألم المر فى الأعماق، فيهلك العقل ويعصر الراحة حتى النضوب.

فانكمشت، بأعماقها الحسرة كالفجاج، يسيجها غضب مكبوت تجاه أحمد الحلاق، غضب كالشلال المنهدر فى عنف، لأنها أعلنت حقيقتها المرة، التى بدت عارية بلا ستر.

تلك الحقيقة المؤلمة التى صفعته بها، دونما انتظار للتأكد من صدق مشاعره وحبه، وعاتبت نفسها بضراوة، لرغبتها فى اختصار الطريق فى قفزة واحدة لتستريح، لكنها تخيرت لقفزتها توقيتا خاطئا، لم تعمل حسابا لنتائجه.

كان ما يشغلها بحق طوال أيام غيابه، تجاوبه معها عندما صارحته، وكاشفته بسرها. إذ لم تبد منه أية رغبة فى استنكار عملها مع الموساد، بل لم يعارض ذلك برغم الأخطار التى قد

تصيبها والتى حتماً ستطوله أيضاً، ذات يوم.

ومفعمة بالهلع، للمرة المائة تساءلت:

ـ هل يعمل أحمد الحلاق لحزب الله..؟

معنى ذلك أنها الآن ـ لو صح الأمر ـ عميلة (محروقة)[1]، تحركاتها أصبحت تحت أعين رجال حزب الله وسيطرتهم، وقريباً، ستجيء بلا موعد تلك اللحظة المباغتة التى يختطفونها فيها إلى بيروت، لمحاكمتها.

المـوت الـقـادم

ساعتئذ، لن يرحموها، ولن ينخدعوا بتوسلاتها، ودموعها، أو تأخذهم بها شفقة لكونها فتاة صغيرة بلا خبرة، وعانت الأمرين فى الجنوب.

فالمؤكد أن الحلاق أسبغ المزيد من التفاصيل، التى هيأها خياله، ليضفى بطولة على مهمته فى الناقورة، وكشف عميلة الموساد.

لو أنه فعل ذلك بحق، لاقتربت كثيرا من حبل المشنقة.

---

(١) مصطلح مخابراتى المقصود به أن عميل الأعداء أصبح مكشوفا وتحت المراقبة المستمرة لمعرفة أعوانه من خلال تحركاته وتصرفاته.

وهلوعة تساءلت فى نفسها:

ـ هل يعدم حزب الله النساء..؟ ويساويهن بالرجال فى جرم التجسس..؟

وهتفت:

(إن ما أقوم به لا يعتبر تجسساً .. فالمعلومات تجيئنى دون بحث عنها .. ولا يمكن أن أكون مثل أمينة المفتى[1] أبدا، تلك التى كانت تحمل جهاز اللاسلكى ذى البطارية وتجوب لبنان شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، لأجل التجسس على الفلسطينيين، وتسببت فى مقتل عشرات الأبرياء من النساء والأطفال.

كانت طبيبة صرح لها عرفات بدخول كل الأبواب المغلقة، أما أنا فسجينة الناقورة ومشفاها، أتعاون مع الجيش الجنوبى لأجل أن أعيش، ويعيش أهلى، وأتنفس هواء الأمان فى وقت يقتل فيه الإنسان بلا ثمن.

ترى ... هل سأعلق على مشنقة حزب الله، أم يفرغ رينيه رصاصات مسدسه فى صدرى..؟

وهل الموت قادم من الشمال أم الجنوب..؟)

---

(١) جاءت التفاصيل فى كتابنا «أمينة المفتى» عن مكتبة مدبولى بالقاهرة، وجاء تلخيص لقصتها فى أحد أعداد هذه السلسلة.

إلى بنت جبيل

وفى نوبة بكائها الشديد، بصقت على حالها، وعلى حبها للحلاق، ولحظة الضعف التى بسببها تصدعت حياتها. وتملكها هاجس استنزف من تفكيرها الكثير، فقد فكرت بالهرب إلى الشمال، والبحث فى ضاحية بيروت الجنوبية عن رجال حزب الله، لتعترف أمامهم بجرمها، وتوفر عليهم جهد التخطيط لاصطيادها.

فعند ذلك فقط قد يرحموا ضعفها، ويخففوا عنها عقوبة الخيانة، أو ربما طلبوا تعاونها معهم، من موقعها بالناقورة. وعندها ستكون صادقة إلى أبعد مدى، فهى تكره رينيه البياضى، وسعد الحداد، وأنطوان لحد[1]، وإسرائيل .. تمقتهم جميعاً لأنهم انتهكوا حياتها، وأحالوها إلى مخلوقة انتهازية تقفز وراء المال، وتبيع أمن الآخرين، وضميرها.

لكن حنان الياسين كانت أجبن من أن تفعل ذلك، فهى فتاة رعناء خاوية جافة، تسعى لصالحها دونما اعتبار لهذا الشىء الذى

---

(١) اللواء أنطوان لحد، أحد ضباط الجيش اللبنانى، انضم إلى ميليشيا سعد حداد، ثم تولى من بعده قيادة الجيش الجنوبى، الذى يتألف من نحو ثلاثة آلاف عنصر، ٦٠٪ منهم من الطوائف الإسلامية، ٤٠٪ من الطوائف المسيحية المختلفة.

يسمونه الوطن. فوطنها الثراء لا غيره، ولن يكون هناك البديل عن ذلك.

أربعة أيام حارقة أعصابها فى انتظار المجهول المخيف، فلا الحلاق جاء ولا رينيه، أو أولئك الملتحون الذين تنتظرهم.

خرجت مسرعة من مستشفى الناقورة تتلفت حواليها فى هلع، واستقلت أول سيارة إلى (بنت جبيل) [1]، حيث يقع المكتب الفرعى لجهاز المخابرات الإسرائيلية.

صـــراخات الهـــلع

فى أوائل السبعينيات، ألقى فى جنوب لبنان القبض على نايف المصطفى الذى يعمل جاسوساً لإسرائيل، وضبط لديه جهاز لاسلكى متطور، يبث من خلاله رسائله المنتظمة إلى تل أبيب، تتضمن تحركات المقاومة الفلسطينية، وأماكن تمركزها، وعناوين قادتها.

وأمام المحكمة العليا ببيروت، أدين بالحبس لمدة سبع سنوات. وبعد ثمانية أيام فى السجن، احتفل معه المساجين من القتلة

---

(١) بنت جبيل: هى مركز قضاء بنت جبيل بالنبطية، وهى قرية حدودية تقع على مسافة ستة كيلو مترات من حدود إسرائيل، وعلى بعد ٢٤ كيلو مترا تقريبا من الناقورة، وبالقرية أحد أهم مراكز محطات المخابرات، التى تتبع المحطة الرئيسة فى الخيام، على بعد ٣٠ كيلو شمالاً.

واللصوص، بغيد ميلاده الثلاثين.

وبعد الحفل، عقدوا محكمة لإعادة محاكمته، أعضاؤها الخمسة من أعتى المجرمين، وحكموا عليه بالإعدام شنقاً.

كان نايف يظن بأن الأمر مجرد تسلية وهزل، لكنهم بحبل صنعوه من الملابس شنقوه بالفعل، واقتصوا منه بقانون الوطنية والعروبة، لا بقوانين العقوبات الرقيقة الناعمة فى لبنان.

تخيلوا .. هذا هو منطق القتلة والمجرمين أمام الخيانة العظمى.. فهل يعرف ذلك بـ «عدل القتلة»..؟

ولأن أحمد الحلاق لص وانتهازى ومحتال.. ونذل، لا يفترض أبدا أن إنساناً على شاكلته، قد يفرط فى وطنه، ويبيعه للأعداء بسهولة. فقضية الولاء والوطنية أعظم من أن ندخلها فى نطاق القياس. فليس كل قاتل سفاح، أو كل سارق مجرم.

فالحلاق بشر قبل كل شئ تتنازع بداخله خلايا الشر والخير، وقد تغلب أحدهما على الأخرى، فينحرف باتجاهها أو يحيد. وهو بطبعه مغامر عنيد، وضعته ظروفه الاجتماعية السيئة رهن نوازع شتى، دفعته لأن يسعى إلى المال ويلهث وراءه، مهما كان مصدره.

الخيانة إذن كانت إحدى سماته وخصائص شخصيته، وعندما

اكتشف حقيقة حنان الياسين كإحدى عميلات الموساد، لم يهتم، أو ينسحب بعيدا عن مكمن الخطر، إذ انشغل عقله المريض بها، رافضاً أن يسمح لنفسه بأن يتقهقر مدحورا طلباً للأمان.

ومنذ رصدته أعين رجال رينيه البياضى ، وهو يطارد عميلة الموساد ، لم يعترضه أحد، فقد رأوا أنه من الأفضل مراقبته والتحرى عنه لاستبيان حقيقته، فتم وضعه تحت الميكروسكوب سواء فى الناقورة، أو برجا،، بواسطة عملاء الموساد المبعثرون فى كل أرجاء لبنان.

لم تكن التقارير النهائية قد جاءت عنه بعد، فى الوقت الذى أبدت فيه حنان الياسين رغبتها بالزواج منه، والانتقال معه إلى بيروت.

وعند ذلك كان من المهم بمكان اتخاذ قرار سريع يحسم الأمر، خاصة وأن عميلة الموساد المتيمة هددت بالانتحار إذا ما رفض طلبها. وكان ذلك معناه أن الحلاق استأثر بالفتاة وسيئجها باستحكام منيع.

وبينما كان الحلاق فى طريقه إلى مستشفى الناقورة، لملاقاة حنان الياسين، انشقت الأرض بشارع بحمدون، عن سيارة «فان» بيضاء اللون، توقفت بمحاذاة سيارته، واندفع منها ثلاثة رجال أشداء انقضوا عليه، ودفعوا به داخل سيارتهم، التى انطلقت

بسرعتها القصوى، تصرخ إطارتها مخلفة سحابة هائلة من الغبار، وتساؤلات المارة.

كانت المفاجأة المباغتة صاعقة للحلاق الذى انتابه الذعر، والتزم الصمت وهو فى غاية الهلع ومنصاعاً للخاطفين الذين شدوا وثاقه، وألقوا به أرضاً بين المقاعد، لا يكاد يرى سوى أطراف الأشجار العالية.

وبعد مرور أكثر من ساعة متصلة، وجد الحلاق نفسه ماثلاً أمام الرائد «رجاء ورد»

فى الوحدة ٥٠٤

فى مكتب رينيه البياضى، ارتمت حنان الياسين متهالكة فوق أقرب مقعد أمامها، وبدت فى حالة انهيار تام وهى تقول بصوت مرتجف، متقطع:

- احمنى منهم .. أرجوك يا سيدى .. وهى تتلفت حواليها :

- إنهم يسعون ورائى..

تساءل رينيه فى دهشة :

- من ..؟

أجابته وقد علت وجهها علامات الفزع:

ـ رجال حزب الله.

ارتفع حاجباه فى دهشة أكبر وقال:

ـ حزب الله ..؟

حاولت أن تتماسك قليلاً وهى تجيبه:

ـ نعـم .. لم أكن أعـرف يـا سـيدى أنـه يعمـل لصالحهم .. لقـد خدعنى ..

وأضافت:

ـ هل تذكر ذلـك الرجـل الـذى حدثتـك عنـه منـذ أيـام ، وعـن رغبتى فى الزواج منه..؟

قاطعها بسرعة منزعجاً:

ـ أحمد الحلاق..؟

وهى تلهث مضطربة:

ـ نعم .. أحمد الحلاق .. إنه عميل لحزب الله ..!

وهو يضحك بفتور وثقة وقد هدأ:

ـ لا .. لا أظن.

صرخت:

ـ صدقنى .. هو من عملاء حـزب الله .. أقسـم لـك على ذلـك ..

لقد اختفى بعد ما ...

ضرب رينيه البياضى المكتب بقبضته محتدا، وقال بصوت أجش:

ـ لقد أختفى بعدما كاشفته بكل شىء .. كل شىء عن عملك معنا أيتها القذرة .

انتفض جسدها وأخذت تغمغم:

ـ أحببته يا سيدى ووثقت به .. وظننت أنه إنسان مخلص ، و... سيساعدنى ...

أشار رينيه أن تصمت، فصمتت وهى تبكى فى أنين خافت، وعند ذلك دلف جنديان مسلحان، بإشارة من سبابته هجما عليها، وجذبوها إلى خارج الغرفة، بينما صراخها المتحشرج ينوء بالهلع. وانطلقت بها إحدى سيارات الجيب إلى قرية الخيام، حيث مقر الوحدة (٥٠٤)[1] ورجاء ورد.

---

(١) الوحدة (٥٠٤) هى المحطة الرئيسية للمخابرات الإسرائيلية فى الجنوب اللبنانى، ومقرها بقرية الخيام داخل الشريط الحدودى المحتل (على بعد سبعة كيلو مترات من حدود إسرائيل) وكان بالقرية معتقل كبير سيئ السمعة، تمارس فيه شتى أنواع التعذيب البدنى والنفسى والانتهاكات. احتلت قوات سعد حداد بلدة الخيام فى آخر يناير ١٩٧٧، وقاومت بارتكاب مذبحة بشعة بالقرية راح ضحيتها خمسون من السكان البالغ عددهم عشرون ألف نسمة. وتعتبر قرية الخيام من أكبر قرى الجنوب اللبنانى (قضاء مرجعيون) من حيث المساحة والسكان، أما أصغر القرى فهى قرية (أم التوت) حيث يسكنها ٤٠٠ نسمة فقط.

رائحـــة الـــدم

أدخلت حنـان الياسـين فـور وصولها ليـلاً إلى معتقـل الخيـام، وأودعت حجرة مظلمة كريهة الرائحة.. وظلت تصرخ هلوعة من رهبـة المكـان، بـلا فـائدة. ولما أنهكها الصـراخ المتواصل والنحيـب، تكورت حول نفسها، وانتبهت إلى صوت أنين خافت ينبعث بالقرب منها.

وبالرغم من الرعب الجاثم بأعماقها، استجمعت ما تبقى لديها من جرأة، وقالت بصوت مضطرب:

ـ من هناك..؟

انتظرت ردا .. وطال انتظارهـا بـلا فـائدة، فـالتصقت بـالجدار البارد بينما ترتعد أطرافها خوفاً، وقالت من جديد:

ـ من أنت..؟

هذه المرة جاءتها الإجابة من قرار بعيد:

ـ حنان .. إنه أنا .. (!!)

عندئذ تبينـت صوتـه، فصرخـت لا تصـدق، ودارت بـها الدنيـا وهـى تزحـف فـى الظـلام الحـالك تجاهـه، إلى أن لامسـته يداهـا

فارتمت تريد احتضانه، لكنها فشلت. إذ كان الحلاق معلقاً إلى الجدار كالذبيحة، وساقاه إلى أعلى.

انحنت تتحسس وجهه، وهالها الدم المتجلط الذى علق به، فاشتد نحيبها المحزون تنتزعه من أعماق خلاياها، وهى تردد فى جنون:

ـ لماذا ..؟..لماذا..؟

وبصعوبة أجابها :

ـ لأننى أحبك ..!! ظنوا بأننى اعمل لصالح حزب الله.

عندئذ .. أسرعت الحبيبة إلى باب الزنزانة الحديدى السميك، وأخذت تضرب بكلتا يديها، تستغيث بالحرس.

لقد هاجمها فى تلك اللحظات شعور متعاظم بالندم.. الندم فى شكوكها بإخلاصه، وكانت أحاسيسها اللحظية قد تفجرت، وتبين لها أن حباً جبارا عتيدا، كامن بشغافها، يربطها بالحلاق بوثاق من حديد.

استرجعت فى لحظات محنة الأيام الأربعة السابقة، التى عاشتها فى جحيم الشك والفزع، وتقززت من نفسها خجلاً عندما تذكرت أنها بصقت على حبها، وعلى لحظة الضعف التى مرت بحياتها

لأول مـرة، لأنـها عشقت بـإخلاص، وتولهـت، وأذابـت مشـاعرها الحبلى شغفاً بين أحضان الحلاق.

كـــاد أن يقـتلـنى

يئست من قدوم الحراس، فـارتدت إلى الحبيـب المعلـق تتحسـس جسـده الملتحـف بخيـوط الـدم ، وتقبـل يديــه المكبلتـان بسلسـلة حديدية.

وبصوت مفعم بالصدق والحب، استجمعت فيه مخزون حنانها الدفىء، قالت:

ـ سامحنى ..

تأوه الحلاق ألما، وأردفت:

ـ أحبك .. أحبك لآخر لحظة بحياتى

بوهن خافت ضعيف جاء صوته:

ـ أحبك يا حنان .. وإن عشت فلن أفارقك أبدا..

ضمته برفق وهى تقول:

ـ ماذا فعلوا بك يا حبيبى..؟ ومنذ متى أنت هنا..؟

بصعوبة جاءها صوته:

ـ كنت فى طريقى إليك ، حسبما اتفقنا ، لأخطبك من أهلك، فاختطفونى إلى هذا المكان الذى لا أعرفه، وتفننوا فى تعذيبى بقسوة لأعترف لهم بأننى مدسوس من حزب الله.

بفزع سألته:

ـ وهل اعترفت..؟

أجاب بصوت خفيض :

ـ أعترف بماذا ..؟ مالى أنا وحزب الله..؟ قلت لك من قبل أننى أكره السياسة، ولا دخل لى بالشمال أو بالجنوب. أردت فقط أن أتزوجك.. وآخذك إلى بيروت بعيدا عن القصف والدمار اليومى فى الجنوب.

كان بكاؤها المتقطع بفعل ارتجاف جسدها، يسمع بوضوح فى مكتب الأمن، حيث قبع أحد الضباط يتنصت باهتمام ، وثمة جهاز تسجيل عن يمينه ينقل بوضوح شديد أنفاس العاشقين الملتاعين فى الزنزانة.

سألته حنان:

ـ ألا زلت تحبنى..؟

ود لو أن يداه محررتان ليضمهما وهو يقول:

ـ أحببتك أكثر من ذى قبل .. ولا ذنب لكِ فيما يجرى لى.. فقد حاولت أن تقصينى عنك لكننى لم أكن لأقدر.

سألته:

ـ أحمد .. هل استجوبك رينيه البياضى..؟

أجاب:

ـ ضابط اسمه رجاء ورد.

هتفت:

ـ أوه.. إنه عنيف وشرس..

وهو يئن:

ـ كاد أن يقتلنى .. بل هو كان يقصد ذلك.

لثمت جبينه بحنان زائد .!!

أشـــباح الليـل والـنهار

ـ رجال المخابرات فى الجنوب لا يعرفون الرحمة .. هذا المعتقل قتل فيه ظلما مئات البشر.. بلا ذنب أو جريرة.

قالت حنان فى وهن .

ومعلقا قال الحلاق:

ـ لقد أفقدهم حزب الله صوابهم.

سألته:

ـ أليس هذا مسلك حزب الله مع المعتقلين أيضاً..؟

زفر فى ضيق:

ـ أشم رائحة المخابرات فى سؤالك .. ماذا بك يا حنان..؟

ضمته برفق زائد وهى تقول:

ـ ألهذه الدرجة لا تثق بى..؟

صمت طويلاً قبلما يجيب:

ـ اعذرينى يا حبيبتى، إن آلامى تعذبنى، والرباط حول ساقاى يذبح لحمى.

وسألها:

ـ لماذا جاءوا بك إلى هنا..؟

تنهدت فى أسى وأجابت:

ـ ذهبت إلى مكتب بنت جبيل، فجاءوا بى إلى هنا .. ولست أعرف لماذا أنا هنا .. ولمتى ..!!

وكان الموقف عصيباً حقا، وضحت معالمه فى الزنزانة المظلمة الرطبة، إذ خلصت حنان الياسين إلى نتيجة واحدة، وهى أن رجاء ورد لا يملك حيالهما خيارا آخر، سوى التخلص منهما معاً، ليدفن السر ويمحى الخطأ. وما أسهل القتل عند القائد الجهم قاسى النفس والقلب.

لقد كان الجيش الجنوبى حريصاً على بقائه، وولائه لإسرائيل؟، وحريصا فى الوقت نفسه على معاداة الشمال المتربص، ورجال حزب الله الذين يتخطون الحواجز الحدودية، ويضربون بجرأة فى الأعماق، كأنهم أشباح الليل والنهار.

وفى هذا المأذق الخانق، رأت حنان الياسين أن تقنع رجاء ورد، بأن يمنحها فرصة أخيرة، لتصحح الخطأ غير المقصود، بأن تستميل الحلاق ليتعاون معها، إنقاذا لحياتهما من الموت.

فطالما لم يهرب منها منذ البداية، عندما كاشفته بسرها، فبالإمكان إذن تعاونه، بالضغط على عاطفته ومشاعره.

وما كان يقلقها لحظتئذ، سوى إمكانية تجاوب الحلاق معها، وتفهمه للمأزق الذى وضعا فيه معاً.

درس لم ينسى

كان رجاء ورد ضابط مخابرات شكاك بطبعه لا يثق بأحد، أذادته الدورات التدريبية التى تلقاها فى إسرائيل شكاً فوق شك، حتى تأذى منه مساعدوه وضباط مكتبه، بل أنطوان لحد، قائد الجيش الجنوبى، فكان يتغاضى عن تصرفاته لعلمه بكفاءة ورد وعبقريته فى العمل الاستخباراتى لصالح إسرائيل.

أما علاقة رينيه البياضى بورد، فقد كانت علاقة معقدة جداً، تحمل بين طياتها كماً هائلاً من الكراهية المستترة. فالبياضى مسيحى متدين، يجيد عمله إلى حد الإبداع، وإن كان يشعر فى قرارة نفسه، بعدم الرضا عن الوضع فى الجنوب، ولجنوحه أحياناً إلى العنف .. العنف البعيد عن الأساليب المخابراتية المعتدلة فى التعامل مع المدنيين.

على العكس من قائده تماماً، الذى كان متعجرفاً، يسخر من

الأديان، ولا يعرف سوى لغة البطش، والتنكيل، والقتل ، متباهياً فى كل وقت بأستاذيته فى عالم المخابرات والجاسوسية، وبمكانته لدى اللواء لحد، وسادته فى إسرائيل.

ليس من أجل ذلك فقط كان البياضى يمقت قائده، إنما لسبب آخر أشد وقعاً وحساسية، أو لنقل أنه محور كل تلك الكراهية المتعملقة بداخله، التى تتوالد تباعاً وتنشطر فى تحفز للانفجار.

كان ذلك منذ سنوات، عندما ارتبط رينيه البياضى بفتاة حسناء اسمها ليندا عبود، وعلم ورد بحكاية حبهما، فطارد ليندا ليستأثر بها لنفسه، إلا أنها صدته بأدب، واكتشفت بعدها أنه سافل لا يعرف الأدب، فتعاملت ممعه بفظاظه، واحتقار، وأعطته درساً لم يزل أثره راسخاً فى ذاكرته، عندما قالت له إن رائحة جورب رينيه أطيب عندها من رائحة عطره.

يومها .. لملم رجاء ورد أشلاء كرامته المبعثرة، وتعمد من بعدها إهانة رينيه فى العمل، وتخطيئه فى تصرفاته وقراراته.

وبرغم فشل قصة الحب القصيرة، وهجرة ليندا إلى خارج الوطن مع أسرتها ، لم ينس ورد تلك الإهانة، ولا رينيه بقادر على مسامحته.

الخطأ الفادح

إن الغلطة كانت إحدى سمات تعاملاته، وكذلك أنانيته المفرطة وحبه لامتلاك ما يملكه الغير، وكراهيته للمحبين الذين يظهرون وفاءا وإخلاصاً لبعضهم البعض.

لذلك .. انفلتت أعصابه، عندما ارتبطت عميلة الموساد بأحمد الحلاق، وجن جنون غضبه.

وفى اجتماع برجاله، عنفهم بقسوة، ناعتاً إياهم بأفظع الصفات، لسكوتهم على تلك العلاقة حتى تطورت، ووصلت إلى حد تهديد حنان بالانتحار إذا لم تتم الموافقة على زواجهما.

كانت أيضاً لديه شكوكاً أخرى داخليه بالحلاق وعلاقته بحزب الله، ذلك الكابوس المرعب الذى يحرمه النوم، ويحرم إسرائيل الأمن. لكن تقارير رجاله أكدت عكس ذلك، وأوضحت بأن الحلاق عاشق مغامر، سيئ السمعة، يرتاح إليه قليلون ممن يعرفونه.

وجاء بالتقرير أيضاً، أنه، أى الحلاق، يمر بظروف مادية قاسية، وبالإمكان استغلال ذلك فى جس نبضه، وتجنيده ضد حزب الله، خاصة وأنه شيعى ومن السهل انخراطه فى صفوف الحزب.

لكن الضابط الشرس المتشكك، كان يرفض تقارير رجاله، ساخرا من سطحية فهمهم لتركيبة حزب الله، وأساليبه الأختراقية والمخابراتية الذكية.

وحتى بعدما اعتقل وعذب بشدة، رأى الضابط فى ذلك مهارة أخرى لحزب الله، واختياره لرجال محترفون، تدربوا جيدا على المراوغة، وتحمل شتى أنواع التعذيب، بدنيا، ونفسيا، ووصل به الأمر إلى الشك فى عميلته حنان الياسين، والطعن فى إخلاصها، وهو الذى قام بنفسه على تدريبها فى عدة دورات متخصصة.

لذلك .. ما إن علم بوجودها بمكتب البياضى، حتى أمره باعتقالها فورا، وترحيلها إلى معتقل الخيام، لتحبس مع أحمد الحلاق فى زنزانة واحدة، لتسجيل ما يدور بينهما من حوار، وأسرار .

كان رينيه البياضى يخاجله شعور ببراءتهما من شكوك قائده، يغزوه إحساس مؤلم بالأسف تجاههما، فهما حتما لن يغادرا المعتقل إلا جثتين هامدتين، إذا ما تعملق الشك بعقل قائده. وتمنى فى قرارة نفسه، أن يسعى، فى هذه الحالة، لأن تضمهما مقبرة واحدة.

وبرغم سنوات عمرها القليلة، خبرتها التى لا تذكر فى عالم

المخابرات والجاسوسية، كانت حنان الياسين تعرف مدى الخطأ الفادح الذى ارتكبته، عندما أطلعت الحبيب بسرها، وتعرف أيضا حجم الخطر الذى سيحيق بحياتها، فيما لو أن الحلاق كان بالفعل أحد عملاء حزب الله.

أما والعكس هو الصحيح، فالضرر مصدره فى هذه الحالة رجاء ورد دون غيره. إنه على كل حال لن يغفر لها بسهولة، لأنه كضابط مخابرات لن يقبل مجرد التفكير فى نسيان هذا الأمر.

فالخطأ فى أعمال المخابرات كارثة محيقة، تترك آثارا مدمرة لا حدود لها، وسيكون فقدانه لعمله أولى النتائج المؤكدة، وضياع مستقبله كله، ليظل بقية عمره نهبا للندم والحسرة وعرضه لمشاكل نفسية معقدة، تتأزم معها تصرفاته الحياتية والاجتماعية.

أفعال عكسية

وكان الموقف عصبيا حقا، وضحت معالمه فى الزنزانة المظلمة الرطبة، إذ خلصت أفكار البياضى إلى نتيجة تنقذ الحبيبين من القتل، ولأنه كان يعرف أن قائدة ضد إملاء الآراء عليه، قال له:

ـ لقد خدعتنا هذه المرأة يا سيدى وأرى أنه من الأصوب قتلها.

وبعد تفكير لم يستغرق طويلاً أجابه رجاء ورد:

ـ لا أعتقد أن فى قتلها نفع لنا بقدر ما سيغضبهم ذلك فى إسرائيل.

ومتعمدا إثارة ردود فعله العكسية قال البياضى :

ـ إذن نقتل الحلاق سيدى القائد .. ونحتفظ بعمليتنا لنعاقبها ونعفيها .. ولك الرأى الأول والأخير سيدى.

فى انفعال قال ورد:

ـ رينيه .. احتفظ بآرائك لنفسك.. فأنا أدرى منك بعملى ومسئولياتى.. ولم أطلب منك رأياً.

معتذرا .. غمغم البياضى:

ـ عفوا سيدى القائد .. فأنا فى الحقيقة ضقت ذرعاً بهما .. ووددت لو تخلصنا منهما لنتفرغ لبقية مهامنا .

وعلى غير عادته لبس ثوب العقل ونطق فى ثقة:

ـ ليس من الحكمة اتخاذ قرارات فورية سريعة فى مسائل حساسة مثل هذه.. تجنباً للخطأ، علينا الآن أن نتركهما عدة أيام قبلما نقرر مصيرهما.. لكن عليك أن تظل هنا.. وألا تغفل عنهما

للحظة.. فربما خلصنا إلى أخبار قد تساعدنا مستقبلاً فى التعامل معهما.

هكذا تمكن رينيه البياضى من زعزعة رأى قائده، والنأى به بعيدا عن أساليبه المعتادة فى اللجوء إلى العنف الدموى ، لأتفه الأسباب.

وبذلك .. اطمئن بنسبة كبيرة فى إمكانية إنقاذ الحلاق وحبيبته من القتل المؤكد.

وبعد ثلاثة أيام استدعاه القائد وبادره بالسؤال:

ـ هه .. ما أخبارهما..؟

أجابه رينيه متعمدا استفزازه :

ـ لقد مللت منهما يا سيدى .. وأنتظر أمرك بقتلهما .. فالحب هو محور تفكيرهما، ولا حديث سواه فى الزنزانة .. لماذا إذن نضيع وقتاً ثميناً فى مراقبة عاشقين ذائبان فى العشق..؟

وبرغم ثقته فى تمرير رأيه، إلا أنه كان يخشى انفلات المعايير بشكل مفاجئ . واستغرق القائد فى لحظات صمت مرهقة، مريرة، وساد سكون موحش، خشى رينيه معه أن يسمع قائده دقات قلبه الواجفة المتلاحقة، لكن الإجابة القاطعة مزقت الصمت وألجمت التوتر عندما قال ورد فى حسم:

ـ لا .. لا .. لن أقتلهما .. فالحلاق رجل جبان يحب المال، وهو معروف بتجواله وتنقلاته وعلاقاته، ولو أننا ضممناه إلينا لكان ذلك انتصار لنا، لأنه سيساعدنا كشيعي فى اختراق حزب الله .

قاطعه رينيه :

ـ حزب الله..؟

أجابه القائد:

ـ نعم .. إنه الآن بالسجن يتوقع الموت مع كل لحظة .. وعلينا استغلال الموقف بكل إبعاده، لصالحنا.

قال رينيه:

ـ إذن نتركه بعض الوقت .. فهو الآن خائر القوى تماماً.

نظر إليه القائد ملياً وقال:

ـ عليك «ملاعبته» يا رينيه .. فأنت تستطيع تطويعه بالتدريج.. وإفهامه أن الحرية لها مقابل عليه أن يؤديه.

دليله إلى الهلاك

إن عملية تجنيد الجواسيس والخونة ليست سهلة كما يعتقد البعض، فهى عملية شاقة للغاية تخضع لعوامل وشروط معقدة.

فالخيانة «خيانة الوطن» بشكل عام كما يقول علماء النفس، لا يقدم عليها أى إنسان مهما تواجد فى محيط متأزم يدفعه ليكفر بمبادئه فيبيع وطنه. فالأمر يختلف من إنسان لآخر، حسبما تستدعى الظروف المحيطة، حيث تتباين الثقافات وعوامل النشأة والاستعدادت الفطرية التى رسختها تراكمات انفعالية كامنة.

يقول البعض الآخر، أن الخيانة تولد مع كل إنسان، أى أنها فى الدم، وإحدى مكوناته[1] وأنها قد تنشط لدى البعض إذا ما تهيأت الظروف المناسبة، أو تظل خاملة مهما تنوعت الأسباب التى تستدعى ظهورها.

كان أحمد الحلاق منذ البداية مصتفُ من القسم الأول، أى أنه قابل لفعل أى شئ مقابل الثمن. واحتوى التقرير التحليلى عن تركيبته النفسية، على عدة مؤشرات تبين مدى قابليته للخيانة.

---

(١) محمد حسن الألفى: الجسد الخائن ـ الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، القاهرة.

فهو إنسان خنوع بلا مبادئ ، لا يقيم وزنا للنزاهة والقيم. وساعدت ظروف اعتقاله وتعذيبه على تهيئة لأن تخور مقاومته، وتنهار دفاعاته، ليستجيب بلا تفكير لكل ما يطلب منه، من أجل أن يعيش.

لكل ذلك .. لم يكن مستغربا أن يوافق بسهولة على التحالف ضد وطنه وحزب الله، غير عابئ بالنتائج المترتبة التى كانت أبعد شئ عن تفكيره فى ذلك الوقت.

وكان لحنان الياسين الدور الرئيسى فى تهيئته، وتليينه، بل وتسييسه أيضاً لكونها بجواره، ترسم له خطط النجاة من الموت، لتقوده إلى طريق الجحيم وفوهة البركان.

كانت تدور وسط ثقب ضيق خانق، يحيطها الخوف والفزع، عندما انفتح باب الزنزانة، ودخل البياضى ثائرا، تغلو وجهه مساحة هائلة من الغضب، وألقى قنبلة:

ـ هل فكرتما فى حل ينقذكما من الإعدام ..؟

وبرغم اقتناع رينيه البياضى وقائده رجاء ورد، بأن أحمد الحلاق لا يستحق كل هذا الجهد، والتعذيب، إلا أن الظروف المحيطة به، وأهمها تعلقه بعميلة الموساد، وفرت خطوات طويلة لسحق إرادته، وتكسيرها.

وعندما مثل الحلاق بين يدى رينيه البياضى، كان فرقا كفأر مذعور انغلق باب المصيدة على ذيله، فانقلب يصرخ لا يدرى، أيصرخ ألما، أم لوقوعه فى المصيدة..؟

فى الحال بادره رينيه بسيل جارف من الأسئلة، ملوحا بأنه قد ينجح فى إقناع قائده، بإنقاذ حياته وحياة حنان الياسين، إذا ما استشعر صدق رغبته فى العمل معهم، فى وقف عمليات حزب الله.

كان الأمر واضحا جدا، وليس بحاجة لكل تلك المناورات التى كانت من أساسيات العمل المخابراتى.

فالحلاق الخائف المرتعب كان أجبن من أن يفرض رأيا، أو شرطا، للتعامل معهم . فمؤرقاته كانت تنحصر فى أمرين لا ثالث لهما : إنقاذ حياته، والزواج من حنان الياسين، وبعد ذلك فكل الأمور سواء.

وأمام كاميرا الفيديو، اعتدل الحلاق فى كرسيه، معلنا مؤازرته لجيش لبنان الجنوبى[1]، وقبوله بذل الجهد والمال والروح

---

(١) خلال عامى ١٩٧٦ و ١٩٧٧ انتقلت شرارة الحرب الأهلية اللبنانية إلى الجنوب اللبنانى.. ففى حينها كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أحكمت سيطرتها على القرى المحاذية للحدود مع إسرائيل .. ومن بينها القرى المسيحية التى انضم العديد من أبنائها إلى حزب الكتائب الذى يعارض الوجود الفلسطينى فى لبنان.. وقام بعد ذلك بذبح الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا بمباركة إسرائيلية مع غزو ١٩٨٢ للبنان. =

لحمايته، والدفاع عن أمنه، وفى سبيل ذلك فهو يهب حياته، وروحه فداء لجيش الجنوب وقائده، اللواء أنطوان لحد.

هكذا وقع الحلاق على وثيقة خيانته، فروحا بنجاته، وغادرت محبوبته المعتقل إلى الناقورة، بينما أخضع فى الخيام[1] لدورة تدريبية مكثفة فى فنون التجسس وتلقط المعلومات،

---

* هذه العناصر المسيحية الجنوبية.. تنامت قوتها تدريجيا .. ومع التسليح الإسرائيلى شكلت نواة ما سمى بعد ذلك (جيش لبنان الجنوبى) إلا أنه كانت هناك نواة ثانية مشكلة من عناصر الجيش اللبنانى بقيادة الرائد سعد حداد مكلفة بحماية القرى المسيحية فى الجنوب.. وفى عام ١٩٧٨ اجتاحت إسرائيل لبنان حتى نهر الليطانى ثم عادت وانسحبت وأمدت سعد حداد بالسلاح وخبراء التدريب.. ثم رسمت خريطة الشريط الحدودى وأعلن سعد حداد قيام (دولة لبنان الحر) وأطلق على جيشه الموالى لإسرائيل (جيش لبنان الحر) الذى أصبح الواجهة اللبنانية فى المنطقة تحت احتلال إسرائيلى .. ثم تحول إلى (جيش لبنان الجنوبى).

أسست إسرائيل بعد ذلك مجموعات عسكرية فى القرى الحدودية المختلفة.. أطلقت عليها اسم (الحرس الوطنى) وكانت علاقة الحرس الوطنى بجيش لبنان الجنوبى متفاوتة تبعا لظروف طائفية وجغرافية .. حيث أرادت إسرائيل من وراء دعمها المتعاظم للحرس الوطنى الإيحاء لجيش لبنان الجنوبى بوجود قوى أخرى يمكن الاعتماد عليها. وبعد هروب سعد حداد إلى باريس أدمجت إسرائيل القوتين تحت القيادة الرسمية لميليشيا أنطوان لحد مع غلبة مسيحية فى القيادة.

وفى دراسة غير منشورة أعدها الإعلام الحربى لـ (حزب الله) عن تركيبة ميليشيا لحد.. فقد قسمت إلى لواءين:

الأول هو (الغربى).. ويقوده عقل هاشم (مارونى) .. وهو الشخص الثانى فى الجيش.. وينقسم اللواء إلى ثلاثة أفواج اثنين شيعيين.. والثالث مارونى.

الثانى هو (الشرقى) .. ويقوده علم الدين بدوى (درزى(وينقسم إلى أربعة أفواج.. اثنين مارونيين.. وثالث درزى.. ورابع أرثوذكسى.

هذا ويتألف جيش لبنان الجنوبى كما تقول الدراسة.. من نحو ثلاثة آلاف عنصر، ٦٠٪ منهم من الطوائف الإسلامية، و ٤٠٪ من الطوائف المسيحية..!!

(١) كان سجن الخيام معتقل قديم من أيام الاحتلال الفرنسى للبنان، ومع الغزو الصهيونى أعيد استخدامه كمعتقل للرجال والنساء حيث يتم فيه التعذيب بأساليب وحشية وسادية، لانتزاع الاعترافات من المعتقلين

والأساليب المخابرتية التى يتبناها حزب الله، وكيفية اختراقه.

بعدها .. منح ألف دولار أمريكى .. وانطلق إلى الناقورة فهنأته الحبيبة، وخطبها من أهلها، وقاد سيارته باتجاه الشمال يسعى خلف حزب الله..!!

من الموت إلى الموت

يتوسع شديد.. استغلت المخابرات الإسرائيلية جميع نظريات «علم الأمراض النفسية» - Psychopathology فى الإيقاع بالعديد من الخونة العرب، متوسلة فى ذلك السيطرة على أعصابهم، أثناء كونهم فى أسوأ لحظات ضعفهم، كحالات الخور Asthenia الناشئ عن التعذيب الشديد المستمر، وحالات الانهيار- Breakdown – القصوى للأشخاص المرضى جنسياً، نتيجة الصدمة – Trauma – الفجائية المباغتة.

ومن أشهر الجواسيس الذين طبقت معهم النظرية الثانية، الجاسوس المصرى، الأرمنى الأصل، جان ليون توماس[1] عام ١٩٥٨، الذى انهار مستسلماً عندما اقتحم رجال الموساد مسكنه فى ألمانيا، وهو عار تماماً، ويمارس شذوذه مع طفلة يهودية دون العاشرة من عمرها.

---

(١) قصة جاءت تفاصيله بكتابنا: جواسيس الموساد العرب، قصة سقوط أشهر ٢٥ جاسوساً ، عن مكتبة مدبولى، القاهرة.

أما النظرية الأولى، فأشهر حالاتها على الإطلاق، الملازم أول عبد الفتاح عوض[1]، وهو مصرى أيضاً، أسر عام ١٩٦٧ فى العريش وتم تجنيده للعمل ضد مصر، بعد تجويعه الطويل مع التعذيب المميت داخل معسكرات الأسرى فى عسقلان.

وأساس نظرية الخور يعتمد على إرهاق الشخص المراد تجنيده، بدنياً، ونفسياً، وأيديولوجياً، بأساليب التجويع والحرمان من الماء والنوم لمدد متفاوتة، يصاحب ذلك تعذيب بدنى شديد يقترب إلى حد الموت، وقهر إنسانيته بمختلف السبل، ومنها الاغتصاب، لسحقه، وتكسيره معنوياً، فتتشكل لديه قناعة تامة بتفاهته، ورخص حياته، وبقوة لا يستطيع ردها، تتسلط على عقله، فكرة الموت القادم فى أية لحظة.

عند ذلك، وإنقاذا لحياته من المصير المهلك، يستجيب تلقائياً تحت الضغوط النفسية الشديدة، لأية حلول قد تنقذه لكى يظل حيا؟.. ويستريح من التعذيب.

إنها تفاعلات شائكة قاسية، تلك التى تصيب الخائر اليائس، وتدفعه طائعاً للطريق الذى يقودونه إليه.

---

(١) تفاصيل قصة سقوط عبدالفتاح عوض جاءت بالمصدر السابق أيضا .

الطيار المختطف

هكذا كان الحال أيضاً مع أحمد الحلاق، الذى عرف بميوله اللاسوية، وبضعفه الإنسانى المتراكم أمام شهوة المال والثراء.

وبرغم ثقة رجال المخابرات الإسرائيلية فى إمكانية تجنيده بإغراءات المال فقط، ودون اللجوء إلى نظريات علم النفس، إلا أنهم رأوا فى تعذيبه وقهره إختصار للوقت، وإحكام قبضتهم عليه.

ذلك لأنه مسلم شيعى، وإن كان غير ملتزم دينياً. فقد ينقلب عليهم متأثرا بخطب رجال الدين المتشددون، وقصص الشهداء التى تتداولها الألسنة فى المساجد والبيوت.

فرجال حزب الله يحملون أكفانهم، ويسترخصون أرواحهم فى سبيل الجهاد ضد إسرائيل، ويربون الصغار وينشئونهم على هذا المبدأ منذ تعى عقولهم الحياة.

لذلك.. فقد كان تطبيق النظرية عملياً مع أحمد الحلاق، من الأمور الضرورية لضمان الولاء والإخلاص والسيطرة، خاصة وأن هناك حالات عديدة لعملاء جنوبيين موالين لإسرائيل، أفاقوا

أخيرا إلى رشدهم، وانقلبوا إلى جواسيس مزدوجين، معتمدين على ثقة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بهم.

وعند كشف هؤلاء تبين مدى الأذى الذى أوقعوه بين الجنود الإسرائيليين واللحديين على السواء.

ومنذ غادر الحلاق البيت الآمن، فى مارس ١٩٨٨ ، الذى تلقى به تدريباته فى فنون التجسس، تحول إلى شخصية أخرى مختلفة، إذ بدأت حواسه كلها تعمل وتحلل وتصور ما تراه وتسمعه، وطبق حرفيا ما تدرب عليه فى «الخيّام» حتى لا يثير شبهات أحد، فيقع فيما لا تحمد عقباه، وتم تكليفه بتقصى أخبار الطيار الإسرائيلى «رون آراد» المختفى فى لبنان.

أسطورة رون آراد

تحولت قصة الطيار الإسرائيلى رون آراد إلى أسطورة شعبية فى إسرائيل وتذاع عنه أغنيات حزينة يرددها الإسرائيليون تطالب بعودته.

وترجع قصة روان آراد إلى ١٦ أكتوبر ١٩٨٦ عندما طار فوق صيدا بطائرته الحربية «Phantom - F4-E» «الشبح» المزدوجة

القيادة لضرب أهداف لحركة فتح الفلسطينية.

وبالرغم من أن الطائرة ذات قدرات قتالية ومناوراتية عالية.. وتحمل ٧٢٥٠ كيلو جراماً من القنابل ومستودعات النابالم و ١٥ مجموعة من صواريخ شرايك وبول بب جو - أرض ومدفع فالكون ذو ستة مواسير .. إلا أن قوات المقاومة أسقطت الطائرة فوق تلال صيدا.. واحتفظ سلاح الجو الإسرائيلى لسنوات بالسر فى تقصير وحدة الإنقاذ فى انتشال رون آراد وزميله.. تلك الوحدة الخاصة التى أنشئت من أجل إنقاذ الطيارين الذين يسقطون بالقفز من طائرتهم فى الحالات الطارئة..

ذلك أن عملية الإغارة بطائرات الفانتوم فى ذلك اليوم امتدت أكثر مما كان متوقعاً.. ولما نفذ الوقود من خزانات هليوكبتر الإنقاذ اضطرت إلى العودة لقاعدتها فى إسرائيل للتزود بالوقود.. وكان ذلك هو الخطأ الفادح الذى وقعت فيه قيادة سلاح الجو.. فقد كان من المفترض الاستعداد لكافة الاحتمالات.. إلا أنه لم يتم إرسال طائرة إنقاذ أخرى وأيضاً لم يتم إيقاف الغارة الجوية.

ولما عادت الطائرة مزودة بالوقود كانت تحمل طاقماً جديدا لا يعرف خريطة الموقع المقصود على وجه الدقة.. ودون خزان وقود إحتياطى يمكنها من البحث على نطاق واسع.. وكانت المأساة

بحق عندما نفد الوقود للمرة الثانية على بعد ٣٠ كيلو مترا من موقع سقوط طيارى الفانتوم.. فاضطرت الطائرة للعودة مرة أخرى.. وفى النهاية أنقذ زميل أراد بواسطة هليوكبتر قتالية من طراز كوبرا غير مهيئة لمهام الإنقاذ..

وقال الطيار إن آراد لم يزل حياً.. وأن مسافة ثلاثمائة مترا كانت تفصل بينه وبين آراد الذى سقط بالقرب من إحدى القرى.. وأنه شاهد بنفسه العشرات من السيارات وهى تقتفى أثر زميله وتطارده إلى أن استسلم ووقع فى الأسر. ويبدو أنه ـ أى آراد ـ فشل فى إصلاح جهاز اللاسلكى الذى بحوزته فاعتقد الجميع فى إسرائيل أنه قتل.. بينما تمكن هو من بث إشارة من مخبئه بين الأعشاب فالتقطتها الكوبرا وأنقذته.

وعن أخطاء قيادة سلاح الجو يقول إيتان هابير مدير مكتب اسحاق رابين وزير الدفاع فى ذلك الوقت أنه تم إرسال نصف طائرات سلاح الجو إلى صيدا لضرب ما حولها وإبعاد قوات المقاومة عن رون آراد.. لكن المشكلة أن جهاز اللاسلكى الخاص به لم يعمل.. وأشارت تقديرات المخابرات وقتها إلى صعوبة إنقاذه وأن ذلك سيكلف إسرائيل ثمناً غالياً ونصحت بعدم المخاطرة بآخرين لتخليصه.

وأمام الشحن الشعبى العام والنداءات المتكررة من أهله التى

يتلقاها المسئولون بصفة مستمرة.. كان لابد من السعى مهما كانت التكاليف لاستعادته من جديد .. من هنا كان حـزب الله يثـق تمـام الثقة فى محاولات الإسـرائيليين المستميتة لتلقـط أخبـار الطيـار الأسير وتراودهم من أجل ذلك رغبـة عارمـة فـى اختطـاف رمـوز من حزب الله لإرشادهم عن الطيـار الأسـير الـذى تحـول مـع مـرور الوقت إلى بطل شعبى وأحد رموز النضال والفداء من أجل أن يحيا الوطن آمنـا مستقرا.

وعند صدور هذا الكتاب لم تكن قد ظهرت بعـد أيـة أبنـاء عـن رون آراد.. حيـث لم يـزل أسيرا مختفيـا .. ومـن اجلـه اختطفـت وحـدات المخـابرات الإسـرائيلية كـوادر هامـة فـى حــزب الله علـى رأسهم الشيخ عبد الكريم عبيـد وزميلـه مصطفـى الديرانـى.. إلا أن لغز اختفاء الطيار الإسرائيلى ما يزال مجهولاً .. محيرا.

وبرغــم مــرور كــل هــذه الســنوات، لم تيــأس المخــابرات الإسرائيلية، وتجند جيشاً من الطابور الخامس[1] لاقتفاء أثـر رون آراد، كان أحمد الحلاق أحد أفراد هـذا الجيـش، وانحصـرت مهمتـه فى البداية فى اختراق حزب الله، حيث يعتقد أن رون آراد حبيس أحد دهاليزه السرية!!

(١) الطابور الخامس: يقصد به « الجواسيس» فى عالم أجهزة الاستخبارات

رحلة الثعبان والحية

بأموال الموساد، جهز الحلاق شقة الزوجية فى الناقورة، وفى أغسطس ١٩٨٨ زفت إليه حنان الياسين، وبعد الحفل الذى قاطعه أهله سافرا إلى بيروت لقضاء شهر العسل، حيث استأجرا إحدى الشقق بضاحية بيروت[1] الجنوبية، بقصد الاختلاط بالأكثرية الشيعية هناك، اعتمادا على أصدقاء له يقيمون بالحى.

كان الحلاق يعرف منطقة الضاحية جيدا ، وأثناء الدورة التدريبية التى تلقاها فى الخيام، نصحوه بالتردد على الضاحية وتجديد علاقته القديمة بأصدقائه هناك[2]، وبأخوه الأصغر (خالد) الذى استقر ببيروت.

اختار الحلاق (حارة حريك) بالضاحية ليقيم بها وعروسه حنان، وكانت شقته تطل على أطلال مدرسة الراهبات والكنيسة.

---

(١) بيروت: مدينة قديمة تشير بعض المصادر أن اسم بيروتوس Beroutos أطلق عليها، أما الرومان فقد أطلقوا عليها اسم فيليكس جوليا Felix Julia ، واسم بيروت مشتق من لفظ فينيقى يعنى «البئر» لكثرة الآبار بها «بيريت». وهذه المدينة فتحها يزيد بن أبى سفيان وأخوه معاوية عام ٧٣٥م وزال حكم الرومان عنها. وقد وقعت فى أيدى الصليبيين حتى أعادها صلاح الدين الأيوبى لحظيرة الإسلام سنة ٥٨٣ هـ (موسوعة المدن العربية، آمنة أبو حجر، دار أسامة للنشر، الأردن ٢٠٠٢م).

(٢) قالت بعض المصادر أن الحلاق كان أحد كوادر قوات الصاعقة وكان مسئولا عن تدريب الشباب للعمليات الخارجية ومتعصب للثورة الفلسطينية بشكل عام .

لقد كانت الضاحية الجنوبية، ومازالت، هى العاصمة الحقيقية للتيار الإسلامى عموما، ولحزب الله خصوصاً، إذ يمارس الحزب فى هذه المنطقة، وفى المناطق الشيعية الأخرى بلبنان، دورا أبعد ما يكون عن فرض نمط حياة إسلامى على السكان[1].

لم يكن الحلاق وعروسه كأى عروسين فى شهر العسل تزوجا بعد صراع ومعاناة. فمذاقات اللذة التى كم حلم الحلاق بها فى خياله، بدت بطعم مختلف. وهذا الجسد الأفروديتى الناصع المثير، الذى يذيب العقول والأنفس، تبدلت رؤى الحلاق حياله، بعدما عجز عن احتوائه وعصر لذائذه. فأيام الاعتقال، والتعذيب، واستخدام اجهزة الصعق الكهربى لاستنطاقه، أظهرت آثارها على رجولته.

أما العروس الساحرة، فقد ازداد حسنها رونقا متخما بالفتنة والتفتح، وحيرها فى الوقت نفسه، ذلك الذبول الصريح فى وجه زوجها، وجفونه التى تحبس لمعانا مترقرقا فى عينيه. وسألته فى حنان:

ـ ما السبب..؟

ـ ولماذا انطفاء هدير اشتياقك..؟

---

(١) جريدة «الوسط» ١٢ مايو ١٩٩٧.

ـ ترى هل أكون غبية..؟

وفى دفء أحضانها أفضى لها بسره.

أثمـــن مـن الذهـــب

فى بيروت بدا الحلاق تقياً ورعاً. إذ واظب على الصلاة بالمسجد الكبير القريب من مسكنه، والذى يرتاده العديد من قيادات حزب الله منهم الشيخ عبد الكريم عبيد الذى تصادق معه. وفـى شقته ارتفع ميكرفون الكاسيت بشرائط القـرآن المرتـل، وبخطب رجـال الدين البقاعيين.

كان قد تعلم الدروس بحرفيـة فـى معسكر الخيام، واستوعب أساليب المحاورة الذكيـة والجدال، واستخلاص النتـائج، وكيفيـة الوصول إلى ما يريده من محدثه، دون إثارة شكوكه.

وفى إحدى مرات اللقـاء، صارح الشيخ عبيـد بندمـه الشديد، على تصرفاته وأفعاله الطائشة قبـل الـزواج، ونيتـه المؤكدة على الالـتزام بتعـاليم الديـن، وبـدت تصرفاتـه ومناقشـاته طبيعيـة للغاية، فاستحسنها الشيخ ومن تعرفوا إليه من رفقائه بالحزب.

أما حنان الياسين، فكانت تتدارس معه طرق التغلغل إلى عقـل الشيخ، وبالتالى حزب الله، وأساليب الحـوار المأمونـة التـى تقربـهما

إلى الهدف.

وكانت رحلتهما فى شهر العسل إلى بيروت، بعيدة عن العسل، إذ هى رحلة استطلاع وتكشف على أعلى درجات الخطورة، والجرأة، استغلتها حنان الياسين بصورة فريدة، عندما تعرفت بأرملة أحد الشهداء، واستدرجتها بإعجاب مصطنع للحديث عن بطولات زوجها، وبفخر أخذت الأرملة تسرد الكثير عن عملياته الفدائية ذد القوات الإسرائيلية، وإقدامه الجسور طمعاً فى الشهادة.

ومن بين ما قالته تلك السيدة، أن زوجها الشهيد كان قائد سرية فى إحدى الفصائل، وهو أول من أسر حياً طيار إسرائيلى أسقطت طائرته فى صيدا، وسلمه لمصطفى الديرانى، أو لحركة «أمل».

وما إن علم الحلاق بتلك المعلومات من زوجته، تهلل وجهه فرحاً، وطلب منها أن توطد علاقتها بالمرأة، شريطة ألا تسعى لمعرفة المزيد عن الطيار الأسير، لكى لا تثير الشكوك حولها.

وانتهى شهر العسل، وعاد الحلاق وعروسه إلى الناقورة بعدما نجحا فى مهمتها الأولى، يحملان ما لذ وطاب إلى الفريق الإسرائيلى، معلومات أثمن من الذهب ، ومن الدولارات التى أغدقت عليهما.

الغطاء الأمنى

أسرع أحمد الحلاق لمقابلة رجاء ورد[1]، وسلمه تقريرا وافيا عن رحلة بيروت.

أما حنان الياسين فقد بقيت بالناقورة، إذ داهمتها آلام مبرحة منعتها من الذهاب معه، فاضطر رينيه البياضى لزيارتها بالمستشفى فى سرية بالغة، ليتعرف بنفسه على تفاصيل الحياة اليومية لنساء حزب الله التى رأتها فى بيروت.

وبعد عدة أيام، استدعى الحلاق إلى الوحدة (٥٠٤) وعهد به إلى ثلاثة من خبراء الموساد، تناقشوا معه فيما جاء بتقريره، ثم أبقوه لعشرة أيام متصلة لتلقينه كيفية التعامل مع حزب الله، وسيكلوجية التصرف المتقن لاختراق نظم جماعته، وأدمغة رموزه، خاصة، وأن جهاز أمن الحزب، يدقق بشدة تصل إلى درجة التشكك، فى كل المتعاملين مع الحزب، من قريب أو بعيد. أى (يفلى تفلاية) كما يقول زعماء الحزب الأمنيين.

---

(١) الرائد رجاء ورد: خائن لبنانى درزى عمل لصالح الاستخبارات الإسرائيلية من خلال انضمامه لميليشيات الجنوب اللبنانية. استسلم سنة ١٩٩٧ للجيش اللبنانى وكشفت المعلومات التى أدلى بها عن العديد من شبكات التجسس التى ألقى القبض على أفرادها.

اجتاز عميل الموساد الدورة التدريبية بنجاح مذهل، أهله للانتقال إلى وضعية، ذات حرفية أكثر مهارة، تمهيدا لتعامل مباشر مدروس مع كوادر الحزب وقيادته، من خلال ساتر أمنى يحتمى به، وهو نشاط تجارى موسع، يضمن له التحرك بأمان ما بين الجنوب وبيروت.

ويكون هذا الساتر أيضاً، مصدر حياة معيشية مريحة له ولأسرته، بما يكفل له الاستقرار المادى والنفسى لكى يعمل بكفاءة تحت أعينهم.

تلك هى إحدى حيل المخابرات المعروفة، ويطلق عليها اسم Cover، وقد برعت الموساد فى ذلك كثيرا، حيث استخدمها عملائها فى التخفى والانتشار عبر القارات، طوال حقبة الصراع المرير المستمر مع أجهزة المخابرات العربية.

فتلك إحدى البدائل المأمونة التى اعتمدتها شتى أجهزة الاستخبارات، بما فيها العربية، كغطاء يضمن الأمن لرجالها وعملائها فى عواصم الدول.

وقبلما يغادر الحلاق الوحدة (٥٠٤) إلى الناقورة، همس لرينيه البياضى برغبته فى إيجاد حل لمشكلته الأخرى المؤرقة، ووعده الضابط خيرا فى زيارته القادمة، بعدما يستفسر عن ظروف

العلاج المناسب لحالته فى تل أبيب.

نال الحلاق مكافأة سخية، ومبلغا محترما لبدء مشروعه التجارى فى صور[1]، وأسرع فروحا إلى حنان الياسين، يزف إليها أنباء الثروة الطائلة التى حصل عليها، والوعد الذى قطعه البياضى على نفسه بعلاجه فى تل أبيب. وقبلما يحدثها بأخباره زفت إليه نبأ الحمل الجديد.

الرجل الداهية

وبالقرب من مدرسة الشجرة استقر الحلاق وعروسه فى مسكنهما الجديد، وبدأ الحلاق يبحث عن دكان مناسب يمارس من خلاله تجارته فى المشغولات اليدوية وأدوات البيت العصرى، فهذا النشاط التجارى هو الواجهة، والغطاء، وتصريح الدخول بأمان لعالم حزب الله.

وبعد أن قام عميل الموساد بعدة عمليات ناجحة ضد حزب الله، أوكلت إليه عملية اغتيال قائد أمن الحزب، عماد مغنيه، ذلك

---

(١) هناك سبب جوهرى لاختيار مدينة صور لإقامة الحلاق وزوجته، فالمدينة تضم عدة مخيمات للاجئين الفلسطينيين منها: مخيم الرششيدية، ومخيم البص، ومخيم البرج الشمالى. وتعتبر صور إحدى أهم مدن الجنوب اللبنانى التى تأوى رجال المقاومة، لقربها من الشريط الجنوبى المحتل، حيث يمكن التسلل عبر السهول والجبال لنصب الكمائن والقيام بعمليات فدائية.

الفدائى المستتر الذى هزت عملياته أحشاء إسرائيل وزلزلت جذور عمقها.

ولهذا الغرض، زوّد الحلاق بالكثير من تفاصيل العملية التى تقرر تنفيذها فى (محلة صفير) بالضاحية الجنوبية لبيروت حيث يقيم عماد مغنية فى مكان سرى غير معروف.

ومغنية، هو الشبح المرعب الذى قال عنه رئيس الموسادفيما بعد «عميرام ليفين[1]»:

ـ « إن هذا الرجل داهية فى التخطيط العسكرى.. يفوق أعتى من تخرجوا من الأكاديميات العسكرية والأمنية العريقة فى العالم. إنه ذو ذكاء فطرى أصاب جيشنا فى لبنان بالهلع.. وأجبره على الهرب ليلاً إلى داخل حدوده خلف أسوار الكترونية ومكهربة.. رغبة اتقاء ضرباته.»!!

---

(١) عميرام ليفين: هو الذى قاد عملية «عناقيد الغضب» فى أبريل ١٩٩٦ التى دامت ١٧ يوماً واستشهد خلالها ١٧٥ مدنياً لبنانياً، كما أنه أشرف على مذبحة «قانا» التى استشهد فيها ١٠٥ من اللبنانيين أغلبهم من الأطفال والنساء.
كان ليفين وقتها يشغل منصب قائد المنطقة الشمالية فى الجيش الإسرائيلى، وأثار جدلاً واسعاً فى إسرائيل بسبب تأييده للإنسحاب من جنوب لبنان تفاديا لضربات حزب الله والنزف اليومى للجنود والمعدات. وكان ليفين يحظى باحترام شديد من نتانياهو إذ أن ليفين كان قد جنده للخدمة فى الوحدة العسكرية «سايريت ماتكال» التى يطلق عليها اسم «النخبة» ، وهى الوحدة المنوطة بالقيام بعمليات خاصة خارج حدود دولة إسرائيل، ومن أبرز عملياتها: اغتيال الزعماء الفلسطينيين الثلاثة فى بيروت، اغتيال أبو جهاد فى تونس، والإفراج عن رهائن الطائرة فى مطار عنتيبى.

الحياة أو الموت

كان الشيخ عبدالكريم عبيد الذى اختطف من قريته إلى إسرائيل آخر يوليو ١٩٨٩ لا يصدق على الإطلاق أنه وقع بين أيدى الإسرائيليين.. إذ صدمته مفاجأة الانقضاض المباغت.. وطحنته فى تساؤلات متشبعة:

كيف تمت مراقبته ورصده هكذا بسهولة..؟

وكيف وثقوا بوجوده داخل منزله بجبشيت..؟

وكيف تصرف بحماقة عندما صرف حارسيه الملتصقين به بالقرية ليل نهار..؟

أيعقل أن تكون هناك خيانة..؟

وهل الاختراق الإسرائيلى لحزب الله، يصل إلى درجة اختطافه من حجرة نومه فى بيته، على مسافة أربعين كيلو مترا من حدود إسرائيل..؟

ترى.. من ذلك الخائن الذى يتلون كالحرباء بينهم..؟

وهل سيتمكن رجاله من الإمساك به..؟

وهل هناك ضحايا من أبناء قريته أو من أسرته..؟

وكم دفعوا ثمنا لرأسه..؟

وماذا وراء عملية اختطافه..؟

تساؤلات حيرت عقل الرجل وأنهكتـه.. واسـتتقر فـى وجدانـه أنهم حتماً سيتعاملون معـه بمنتـهى الوحشية، بغيـة الوصول إلى إجابات حاسمة ومعلومات أكيدة عـن حـزب الله، وقـد يلجـأون فـى تعذيبـه إلى شـتى الوسـائل، مـن صدمـات مخيـة وعصبيـة، إذ لم يحصلوا على مبتغاهم..

لذلك .. أغمض الرجل عينيه، وأخذ يدعو ربه أن يمنحه القوة لكى يتجلد ويتحمل قسوة إيلامهم ، منشغلاً عن المحيطين بـه فـى صلاة وتضرع، إلى أن غشاه خشوع الدعاء ولبسته السكينـة.

فلـم يـدرى بنفسـه إلا وهـم يقتادونـه إلى خـارج الطـائرة الهليوكوبتر، لتصطدم عيناه بجمـع غفـير مـن العسكريين اليـهود، يتصايحون فى نشوة ظفـر وانتصـار، قبلمـا يدفعـون بـه إلى داخـل العربة العسكرية، حيث وضع مكبلاً تحت حراسة مشددة بداخـل إحـدى الغـرف الانفراديـة الضيقـة، بـذات القـاعدة الجويـة التـى حطت بها الطائرة فى شمالى إسـرائيل فـى انتظـار الإذن بـالتحرك لاختطافه.

لقد كان لدى رجال الاستخبارات الإسرائيلية خوف كبير من مهادنته، فينتهز أدنى فرصة للقضاء على حياته. فشخصية قيادية مثله، تحمل قدرا هائلاً من الوطنية والأسرار، لا تقر الهزيمة بسهولة. لذلك فالانتحار في مثل هذه الحالات إحدى وسائل الحماية، حماية الأسرار والمعلومات من الوصول للعدو، وحماية النفس من الأسر والإيذاء.

وفى اليوم التالى نقل الشيخ عبيد إلى أحد مقار المخابرات الإسرائيلية، حيث عومل بتجاهل تام لستة أيام متواصلة دون تحقيق، وكان الغرض من ذلك - كما تقول الدراسات النفسية - لوم النفس وتوقيع العقاب على الذات Selfinflict أولاً.. تمهيدا لمرحلة الإجهاد العصبى Collapse ، ثم الانهيار Breakdown الناتج عن تسلط فكرة الحياة أو الموت Live- or – die بعقله ..

صخرتى الرَّحا

هكذا اعتمدت المخابرات الإسرائيلية نظريات علم النفس لاستجواب الأسرى، وتعذيبهم معنويا بشتى أساليب الصراع الداخلى والتوجس خيفة Apperhension من المصير المنتظر.

ودفعها حب الانتقام من الرجل إلى استغلال الطب العقلى

Psychiatry فى أبشع صورة لانتزاع المعلومات منه انتزاعا، ولم يكن ليتسنى لها ذلك إلا بسحق آدميته بشكل تدريجى متعاظم، يبدأ بحرمانه من النوم لساعات كافية، وكذا الطعام والشراب والضوء والنظافة.

بعدها يحدث ما يسمى بانحدار Decline الإرادة، وعندها.. فالأمر أكثر سهولة فى حالة التحقيق معه واستجوابه.. إذ سيكون أكثر ليونة، وتجاوبا، مبتعدا قدر الإمكان عن الكذب والمراوغة.

ولأن هذا الأسلوب يستغرق وقتا طويلاً لا يقل عن ثلاثة أشهر، حدث خلاف كبير بين خبراء المخابرات الإسرائيلية بعد مرور شهر ونصف من اختطاف الشيخ عبيد.

فقد رأى فريقا منهم أن ضربات حزب الله الموجعة قد ازدادت كثافة برغم أسر أحد قواده، ومن ثم فهناك ضرورة التعجيل باستجوابه بأساليب التعذيب المعتادة، للوصول إلى حل لتفكيك مفاصل هيكلية الحزب الأمنية بأقصى سرعة ممكنة.

أما الفريق الآخر فقد رأى أن تطبيق النظريات النفسية أسرع الطرق للوصول إلى الحقائق بلا مواربة، والكشف عن حقيقة مخبأ الطيار الإسرائيلى رون آراد المختفى فى لبنان.

واشتعل الخلاف بين الفريقين حتى وصل إلى القيادات العليا،

وجاء القرار الحاسم:

ـ « يتم التعامل مع عبيد بشتى السبل بعد أسبوعين، إذ لم تتمزق إرادته وتنهار مقاومته خلال تلك المدة» !!.

وعلى ذلك.. علق مصير الرجل بين فكى كماشة، وصخرتى الرحا، وهو فى الحالين حالك..!!

غسـيل الدمـاغ

مرت الأيام عصيبة على الشيخ عبيد فى الأسر، وفشل عقله فى الوصول إلى ذلك العميل المجهول الذى ساعد فى خطة اختطافه، فأسلم أمره إلى الله وهو على ثقة بأنهم لن يقتلونه مهما كانت النتائج.. فالحرب لم تنته بعد بين حزب الله وإسرائيل، وطالما هناك أرض مغتصبة وحرب علنية وأخرى سرية، فهناك إذن أسرى بين الطرفين، وهناك مبادلات بينهما أيضاً.

لكنه مع مرور الأيام ظل وحيدا فى زنزانته الانفرادية دون استجواب، فكانت تنهشه الأفكار والتساؤلات ولحظات الترقب الرهيبة التى كانت تدغدغ فكره، وتطفح معها توترات ترتعد لها أوردته خوفاً على قيادات حزب الله الأخرى فى لبنان، ورعباً على مصير المقاومة الفدائية التى قد تكف عن عملياتها الجريئة من

أجل إنقاذه.

فكان وهو فى محبسه متوج بهواجس الخوف على مستقبل الحزب، دائما ما يدعو ربه أن تزيد المقاومة من ضرباتها الموجعة، وأن تنزل بالعدو خسائر تطيح برشده.

ويبدو أن تلك أيضا رؤية الحزب وسياسته الاستراتيجية، فالضربات لم تتوقف للحظة، وعمليات التسلل والكمائن والخسائر كانت فى تصاعد وازدياد.

أما تصريحات قيادة الحزب فكانت أكثر سخونة وثقة، مما ألقى الرعب فى روع الإسرائيليين، الذين تخبطوا فى حساباتهم وأخطأوا فى توقعاتهم، وأدهشتهم ردود الأفعال التى خالفت نظرياتهم الأمنية ودمرتها.

وبعد أيام كان الشيخ عبد الكريم عبيد[1] فى حالة يرثى لها،

(١) ولد الشيخ عبد الكريم عبيد عام ١٩٥٧ بقرية جبشيت الجنوبية. تلقى تعليمه الثانوى فى بيروت ودرس الهندسة المعمارية فى معهد الفنون الجميلة بجامعة لبنان. وفى عام ١٩٧٩ سافر إلى إيران والتحق بالحوزة العلمية فى مدينة قم. فى مارس ١٩٨٣ رجع إلى جبشيت بعدما اعتقلت القوات الإسرائيلية إمام البلدة الشيخ راغب حرب الذى استشهد عام ١٩٨٤. فتولى الشيخ عبيد إمامة البلدة ولم يغادرها حتى الانسحاب الإسرائيلى منها عام ١٩٨٥، حيث قاد حركة الاعتصامات ضد الاحتلال، متحديا أوامر قوات الاحتلال، برغم اعتقاله مرتين، وتعرض منزله لمداهمات عدة ، حتى وصل الأمر إلى إلقاء عبوة ناسفة أمام منزله قبل الانسحاب الصهيونى إلى الشريط الحدودى. فى نهاية يوليو ١٩٨٩ اختطف من منزله فى جبشيت، بواسطة فريق من =

عندما جئ به ثانية إلى غرفة التحقيق، فقد كان وجهه شاحباً، ونظراته الزائغة تنطق بأساليب التعذيب الوحشية التى مورست معه.

لكنه فوجئ هذه المرة بعدد كبير من الضابط يقومون على استجوابه، وليس ضابطاً واحدا كما فى المرة الأولى.

وحقيقة ذلك أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «C.I.A» أرسلت بعدد من خبرائها سرا إلى إسرائيل فى تعتيم كامل، وفى مهمة عاجلة لم يعرف بها فى إسرائيل سوى المستشار الأمنى لرئيس الحكومة، وبعض كبار رجال الموساد.

وتؤكد المعلومات أن مهمة الوفد المخابراتى الأمريكى كانت مثار مفاوضات شاقة وطويلة مع الحكومة الإسرائيلية، كادت أن تتحول إلى أزمة بين الحليفين، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن المخابرات الأمريكية، أبدت تحفظات على التقرير الذى قدمه لها الإسرائيليون، عن نتائج التحقيق التى أجروها مع الشيخ عبدالكريم عبيد.

= الكوماندوز الإسرائيلى، بترتيب مع عميل الموساد أحمد الحلاق. كان الشيخ عبيد نائماً عند مداهمة منزله، وكان بضيافته قريباه أحمد عبيد وهاشم محض، حيث نقلا أيضا مع عبيد إلى فلسطين المحتلة، بينما قتل أحد جيران المنزل (حسين أبو زيد) عندما خرج ليستطلع الجلبة التى ببيت الشيخ.

إذ يبدو أن الأمريكيين لم يجدوا ما يشفى غليلهم فى اعترافات عبيد ، كما وردت فى التقرير الذى نقله لهم الإسرائيليون، فألحوا على أن تقوم عناصر من الـ « C.I.A » بلقاء الشيخ فى سجنه، وإجراء تحقيق أمريكى خاص معه.

وبهذه الخلفية جاء فريق المحققين الأمريكى إلى إسرائيل، وعقدت ست جلسات مع عبيد استغرقت من ٣٠ : ٣٦ ساعة.

ويقول الأمريكيون إنهم لم يجدوا صعوبة كبيرة فى انتزاع اعترافات الشيخ، لأن الإسرائيليين كانوا قد أنجزوا مرحلة التحضير النفسى، واستخدموا أساليب متطورة ومعروفة بفعاليتها فى مجال «تدمير الشخصية» وإضعاف المقاومة إلى درجة تقترب من «غسل الدماغ» .

الفأر المذعور

فى ذلك الوقت كان أحمد الحلاق كالفأر المذعور، يتوجه الخوف الجاثم على عقله ويدمر أعصابه خشية اكتشاف دوره فى عملية خطف القيادى البارز.

أما زوجته حنان الياسين فقد اختفت فرحتها بمولودها الأول «دانى»، وسعت قدر استطاعتها لتخليص زوجها من حبال الرعب

التـى تكبلـه، ودفعـه لأن يخـرج مـن سـجن الخـوف إلى العمـل مـن جديد، خاصة وأن تحريات رجال الموساد السرية، أكدت بـأن جهاز أمن «حـزب الله» لا يشـك فـى إخلاصـه ووطنيتـه، لكـن الجاسـوس الخائف كان أجبن من أن يصدق ذلك، أو يثق فيما يقال.

وتحـت ضغـوط شـديدة، اضطـر لأن يغـادر صـور إلى قريتـه «برجا» فى الشمال.

وما إن غـادر برجـا إلى بـيروت بعدمـا أنقـذ أسـرته بعـض المـال، حتى غرق فى بحر من الخوف والهلع، لكنه رأى بنفسـه مـا طمأنـه فى بـيروت وأشـعره بـالأمن . فرجـال «حـزب الله» رحبـوا بـه، بـل وطلبوا منه موافاتهم بتحركات أعوان إسرائيل فى الجنوب.

وأجابوه عندمـا سـألهم عـن كيفيـة اختطـاف الشـيخ عبيـد إلى إسرائيل، بأن ثمة خونـة كـانوا يقـودون فريـق الكومـاندوز، وهـم بصدد التوصل إليهم . ولما سـألوه عـن السبب فـى تغيبـه كـل تلـك الشهور أنبأهم بأنه رزق بمولود جديد ولد مريضاً، فاسـتلزم ذلـك منه البقاء إلى جواره فى صور.

بعد تلك الرحلة إلى بيروت عاد ثانية إلى صور فـى ثـوب جديـد مغاير وأسرع بمقابلة رئيسه رجاء ورد، يلح فى إعفائه من العمل،

حيث إنه لن يستطيع أن يتعامل معهم وكل خلية فى جسده ترتعد خوفا من اكتشاف أمره.

لكن ضابط الموساد الشرس لم ينصت إلى حديثه، وقذف إليه ببعض الدولارات لتسكن خوفه. وما كانت أموال الدنيا فى تلك اللحظة أهم عنده من حياته، وأمنه.

لكن الرائد رينيه البياضى أشفق على الفأر المذعور، المتهالك، ومنحه أجازة طويلة من العمل، بعدما استطاع إقناع قائده بذلك.

نظـــرة إلى المستقبل

إن العميل الخائف فى عرف أجهزة المخابرات من السهل كشفه وسقوطه، فالحالة النفسية المستقرة والبعيدة عن أحاسيس الخوف واجبه للعملاء والخونة، لكى يقوموا بمهامهم فى مناخ صحى، يمكنهم من التغلغل والإنتاج فى سهولة.

وطالما تمكن الذعر منهم ففى تلك الحالة فهم عند ذلك أكثر عرضة للخطأ فالسقوط، من هنا يتم احتواء أمثال هؤلاء، وتهدئتهم بواسطة خبراء نفسيين ينأون بهم عن جو الجاسوسية، ويصرفون عنهم الخوف بتصوير بطولاتهم وأعمالهم على أنها خارقة وبعيدة عن الخيانة.

هكذا أخضع الحلاق للفحص النفسى والتحليل العميق، وجاء بالتقرير النهائى أنه: «يعانى حالة ذعر Panic متأخرة.. قد تصل به إلى مرحلة الهذيان Delirium ».

وبعد عرضه على أجهزة اختبار تداعى الكلمات Word association test ، نصح بتوقفه عن العمل مؤقتاً لفترة لا تقل عن عام.. حتى لا يصاب بحالة الهلوسات المرئية Photomata .

وعلى ذلك قبع أحمد الحلاق بمنزله منشغلاً بمحله التجارى، وبزوجته حنان التى حملت للمرة الثانية.

وفى أكتوبر ١٩٩٢ وضعت ابنتهما باسكال..

تعاقبت الشهور تلو الشهور ولا يزال الحلاق يرتجف خائفاً، تسيطر عليه سحابات رعب تعصف بمجامعه، وتطارده الكوابيس المرعبة بلا رحمة فى نومه ويقظته.. فتحيله إلى ما يشبه الخائر المشوش، الذى ضاقت به الدنيا على اتساعها.

لذلك آثر أن ينغلق على نفسه هربا من أشباح الموت، متشبثاً بأحضان زوجته التى كلما منحته قطوف أنوثتها أقبل عليها فى نهم الجائع المحروم، ووجد فى ذلك متعة للانعتاق من أغلال خوفه وشياطين أفكاره.

وبأرق كلمات الحب والعطف كانت حنان الياسين تردد دوما

على مسامعه، بينما تحتويه كطفل وليد فى حنان، فتسكن قليلا من ارتجاجاته العصبية التى سرعان ما تعود ثائرة من جديد.

وبعد عامين كان أحمد الحلاق قد هدأ تماماً، وتأكد له أنه بعيد عن دائرة الشك فى أجهزة أمن الحزب الله، فكل المعطيات تنأى به عن شبهة المؤامرة، ذلك لأن رفاق الشيخ عبيد الذين كانوا يعرفونه ورأوه ليلة الاختطاف فى بيروت «كان ذلك من ترتيبات الخطة» وكثيرا ما التجأوا إليه خلال تلك المدة فتعاون معهم، وقام على مساعدتهم وتذليل بعض الصعوبات لرجالهم فى الجنوب، ظناً بأن ذلك سيحسب له إذا ما اكتشف أمره مستقبلا.

العمليـة الأخـيرة

ففى تلك الأثناء كان سعى أحمد الحلاق محموما للعودة إلى حظيرة الموساد، بعد توف عامين عن العمل شحت أثناءهما دولارات الموساد بين يديه. إذ كان يتحصل منها على راتب شهرى مجز، إضافة إلى مكافآت التقارير والأخبار.

توقف أيضاً راتب زوجته لانقطاعها عن العمل، مما أدى إلى اختلال تجارته لإسرافه الشديد، واعتماده على المال الحرام الذى منع عنه.

لذلك، عاد صاغرا إلى النشاط التجسسى هربا من أزمته الاقتصادية، وهو بعد لم يدرك أن المخابرات الإسرائيلية تستنزف عملائها ثم تتخلى عنهم بسهولة، وتتركهم بعد انتهاء مهامهم يواجهون الضياع والنسيان.

وهناك فى ملفات المخابرات والجاسوسية.. عشرات الامثلة لعملاء قدموا لإسرائيل خدمات لم تحلم بها، ثم تجاهلتهم، لكن الخونة، يبدو أنهم يساقون بلا وعى أو إدراك لما ستسفر عنه النهاية.. وسوء المصير.

وفى أغسطس ١٩٩٤ بدأ الحلاق يستعد لعملية كبرى .

وجاء ذلك بعدما تعرف بفؤاد مغنية شقيق عماد مغنية مسئول الأمن فى حزب الله ، الذى التقاه فى منزل شقيقه الأصغر - خالد الحلاق - المقيم بضاحية بيروت الجنوبية، والمتعامل مع حزب الله.

اعترف له خالد بثقة بعلاقته بعماد مغنية المسئول الناشط بالحزب، الذى يتمتع بحاسة أمنية عالية جدا.. فهو كالثعلب دائم المراوغة، لا يكاد يظهر أبدا فى أماكن ومواعيد محددة، ولا يستطيع كائن من كان رصده أو التعرف عليه بسهولة.

ذلك لأنه كان دائم التخفى شديد الحرص، خاصة منذ اختطاف الشيخ مصطفى الديرانى، إلى إسرائيل فى مايو ١٩٩٤، بواسطة فريق كوماندوز إسرائيلى قاده إليه ابن عمه محمد الديرانى الذى أهدر دمه وأعدم بعد ذلك.

مرت أربعة أشهر، واستعد الحلاق لاغتيال عماد مغنية تنفيذا لأوامر الموساد مقابل عشرة آلاف دولار ، وتحدد للتنفيذ بعد مراقبات مستمرة يوم الأربعاء ٢١ ديسمبر ١٩٩٤ فى «محله صفير» بالضاحية الجنوبية، حيث سيتواجد عماد فى الثانية والنصف نهارا برفقة شقيقه فؤاد، تبعا للمعلومات المؤكدة التى تجمعت لدى الحلاق.

بيد أن الحلاق ، فى اغتيال القائد الكبير، لكن السيارة المفخخة التى أعدت قتلت شقيقة (فؤاد مغنية) وشخصين آخرين وأصابت خمسة عشر مدنيا.. وأجمعت الأدلة وشهادة الشهود على أن أحمد الحلاق كان وراء عملية التفجير التى كانت تستهدف رئيس مخابرات الحزب الذى عدل عن مغادرة منزله فى اللحظة الأخيرة فنجا بحياته.

وعلى ذلك غادر الحلاق وزوجته وطفليه، باسكال ودانى المسكن هربا من حزب الله، على أمل اللجوء لإسرائيل. لكن رجاء

ورد استقبلهم على مضض بأحد بيوت (الخيام)، رافضاً صرف أية مستحقات أو رواتب للجاسوس وزوجته .. ثم أرسل بهما إلى قرية يارين الحدودية المهجورة هرباً من إلحاحهما بالعبور إلى إسرائيل.

الخنازير والجسد

وبأحد المنازل المهجورة عاش الحلاق وأسرته حياة بدائية صعبة بلا مياه أو كهرباء .. أو الحد الأدنى من متطلبات الحياة فى قرية من قرى القرون الوسطى فى المجاهل الأفريقية ..

إذ سرعان ما طواه التجاهل والنسيان .. وقلصت حصته التموينية التى قررت له .. فبدأ يتسول الطعام والسجائر والمياه من جنود الدوريات .. وكانوا فى غالبيتهم خليط من يهود العراق والدروز .. حتى أذله الفقر والقهر والقر ..

ففى نهاية فبراير ١٩٩٥ طحنته الأحوال النفسية والمعيشية السيئة .. ومع لسعات البرد القارس والجليد الذى يجمد الدماء فى العروق، أصيب بالحمى.. فخرجت زوجته تبحث عن دواء وطعام.

وعلى الحدود الإسرائيلية ساومها ثلاثة من الدروز .. وبلا تردد .. تناوب الثلاثة مضاجعتها .. وكان آخرهم سادى شاذ أدمت أسنانه عنقها وصدرها .. وعادت إلى بيتها حزينة وسعيدة

فـى الوقـت نفسـه بمـا حملـت مـن مـؤن .. لا يؤرقـها المقـابل الـذى دفعتـه.. فقد باعت من قبل كل ثمين .

ولما سألها زوجها عما حدث لها فى غيابـها الطويـل عـن المنزل، قذفت إليه بعلبتى سجائر .. وأخرجت ما جلبته مـن طعـام وهـى تضحك فى هستيريا مهللة:

ـ إنه طعام جيد .. سيكفينا لعدة أيام.

فقبلها الحلاق فرحا ودعا لها بطول العمر.

جاسوسـان للموسـاد يختبئـان بقـرب الحـدود الإسـرائيلية .. تطاردهما أجهزة أمن حزب الله .. وتبحث عنهما فـى كـل شـق مـن شقوق جبال لبنان الجنوبية .. يعيشان كالجرذان فى ظل الحماية الأمنية لجيش لحد العميل.. إنـهما يترعـان المـر.. ويلوكـان الخـوف انتظارا لقـرار دخـول إسـرائيل، تتويجـا لنهايـة قصـة الجاسوسـية والخيانـة والغدر ..

لكـن القـرار لا يجـئ.. والانتظـار وحـش كاسـر .. ضرباتـه كالسوط موجعة قاسية لا تـرحم .. ولا تهدأ .. أو تستقر.

وأمام معاناة الحلاق وخوفه من أنياب الانتقام التى تتربص به، بدت الحياة أمامه سوداء كئيبة. فالأيـام تجـرى والشـهور تتعـاقب

ولا أمل فى الفرار إلى إسرائيل ..

وبدا كأنه يعيش فى سجن محكم بالكاد هو بحجم ثقب الإبرة .. فكان لا يملك إلا البكاء صمتا .. والإنكماش ببيته تطويه المخاوف طيا .. فيرتجف رعبا إذا ما حرك الريح شجيرة عوسج.. وينتفض كالملسوع مع خربشات الفئران وشخشخة الأوراق الجافة.

حينئذ.. يهرول إلى مكتب الرائد رجاء ورد يلتمس لديه الأمل الذى تبعثر.

وفى ذل وخضوع يقول مستجيرا:

- أخرجونى من هنا .. لقد مللت سجنى اللعين .. لا أريد أن أعيش مقبورا بين السحالى والديدان..

فينفجر ورد مزمجرا:

- أنت تضايقنى بهذيانك يا رجل.. طلبنا منك أن تقيم معنا هنا فرفضت .. نعطيك المعكرونة والسكر والسمن والحمص فتشكو الجوع .. قلنا لك إن دخولك إسرائيل يتطلب إذنا لم يصلنا بعد فلا تفهم .. ماذا تريد إذن..؟

أجاب الحلاق فى تضرع :

- سيدى .. أقسم لك أننا نتضور جوعا .. وليس بجيبى ليرة

واحدة.. وأخاف إن أقمت فى الخيام أن يكتشف حزب الله مكـانى .. فقط سيدى .. أرجوك، أريد مكافأتى التى لديكم واتركونى أغـادر لبنان..!!

صاح ورد حانقاً:

ـ مكافآت .. مكافآت .. لقد منحناك مقابل خدماتك .. فكف يا رجـل عـن مضـايقتى بتخـاريفك .. ألا يحميـك رجالنـــا ونمنحـك الطعـام والمسـكن..؟ عـد الآن مـن حيـث جئـت ولا تجيئنـى ثانيـة هنا.. أفهمت..؟

ومقهورا ذليلاً .. غادر الحلاق المكتب دون أن يصرخ فى وجهـه بأن زوجته تبيع جسدها مقابل الطعام .. لكنه استحيا أن يقول .. فقد أيقن أن لا شئ سيتغير.

كان يعلم بأن حنان تضحى دون أن تتكلـم.. أو تظهر لـه مـدى انتهاك جسدها فى كل مرة تعود تحمـل المعلبـات والسـجائر .. إنـه يعرف كل شـئ لكنـه يتغـابى .. ويتعـامى.. ويتعـذب فـى داخلـه.. موطناً نفسه على أنها مثله.. تدفع الثمن..

تدفعه غالياً فى قهر واضطرار وصمت لتخفف عنه معاناته.

الخنازير النجسة

كثفت الأجهزة الأمنية فى حزب الله جهودها لتقصى أخبار أحمد الحلاق فى الجنوب .. وجندت لذلك جهد العديد من عملائها السريين والمزدوجين.. الذين جدوا فى البحث عنه.. فكان عملهم أشبه بالتنقيب عن إبرة فى جرن من القش.

وبعد عام طويل.. ضربت خلاله عمليات حزب الله واختراقاته مفاصل التواجد الإسرائيلى فى الجنوب اللبنانى .. وتحديدا فى يناير ١٩٩٦ .. أبلغ أحد العناصر أنه علم بوجود الحلاق وأسرته بقرية يارين المهجورة.

كان البلاغ مثيرا للدهشة.. فمعناه أن إسرائيل تخلت عن عميلها بالفعل.. وأيضا.. تحفظت عليه بالقرية المحاطة بحزام أمنى.. ثقة أنه بذلك فى مأمن يستحيل كشفه..

لكن .. على العكس تماما.. رأى جهاز الأمن فى حزب الله أن وجود الحلاق فى يارين المتاخمة للحدود.. وتحت أنظار الجنود الإسرائيليين وتحركاتهم.. أمر أفضل كثيرا بالنسبة لهم عما إذا كانت إقامته بقرية الخيام مثلا.. حيث سيحتاط الحلاق لنفسه

عندئذ لقرب البلدة من هجمات شبان المقاومة..

أما فى يارين الملاصقة للحدود فلن يحتاط .. ولن يتوقع اكتشاف مكمنه لإدراكه أنه بعيد عن المتابعة والرصد .

كذلك سينخدع رجاء ورد لكون الحلاق بين ظهرانيهم .. وستهمد بذلك عملية المتابعة المستمرة للجاسوس الفار ..

لكل ذلك .. ستتواجد الثغرة الأمنية التى بنيت على افتراضيات الثقة فى نظام الأمن .. ومن خلال تلك الثغرة يكمن الخطر .. حيث يمكن النفاذ بهدوء عبر كل الخطوط .. واختطاف الجاسوس القاتل وزوجته الأفعى الناعمة.

تماماً .. كانت الرؤية التحليلية لأجهزة أمن حزب الله صائبة .. وغير متوقعة.. إذ تأكد لديها صدق المعلومة مائة بالمائة.. ولمدة شهر ونصف الشهر من الرصد والمتابعة المستمرين .. تم التوصل إلى خطة مدهشة لإجتياز كل الخطوط الحمراء.. التى تعوق التسلل إلى يارين .. برغم الأجهزة الإلكترونية المزروعة ووسائل الحماية المختلفة.

وفى فبراير ١٩٩٦ فى ذات ليلة غاب فيها القمر واكتسى الظلام.. كان أحمد الحلاق يحتضن طفليه ويغط فى نوم عميق.. وكانت زوجته حنان الياسين متهالكة فى فراشها بحجرة داخلية..

بعدما انتهت من حفلة جنسية مع جنديين إسرائيليين درزيين، لقاء بعض الأطعمة المحفوظة والسجائر.

وبينما السكون مستقر عولج الباب الرئيسى للمنزل بهدوء، وصحا الحلاق فزعاً وهم يوقظونه شاهرين أسلحتهم .. فامتثل لأوامر الأشباح الملثمة.. وجيء بزوجته المتهالكة حيث اقتيدا مع طفليهما صاغرين إلى المصير الطبيعى لكل خائن جبان .. وسجل التاريخ فى تلك اللحظة أروع عمليات حزب الله التى اخترقت جدران أساطير الأمن والحماية التى تروجها إسرائيل[1] .

كيف تم اختطاف الجاسوسين من بين أحضان الحراسة

---

(١) فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٦، أحيل إلى إحدى المحاكم الإسرائيلية أربعة شبان لبنانين هم: رمزى نهرا، وماهر توما، وبسام حاصبانى، وسليم سلامة بتهمة التعامل مع العدو، والتجسس لصالح الدولة اللبنانية. وكانت أجهزة المخابرات الإسرائيلية قد أقدمت على خطف المواطنين الأربعة من الجنوب اللبنانى فى ٢٢ فبراير ١٩٩٦ ، بعدما اكتشف دورهم فى خطف العميل الصهيونى (أحمد عبد البديع الحلاق)، وزوجته حنان الياسين من الشريط الحدودى، بالتعاون مع أجهزة أمن حزب الله ، لمحاكمتهما فى بيروت وكشفت لجنة المتابعة لدعم قضية المعتقلين اللبنانيين فى سجون العدو، أن قوات الاحتلال أقدمت على خطف واحتجاز المواطنين اللبنانيين الأربعة لمدة ستة أشهر، فى أقبية وزنزانات منفردة فى سجن (أشمورت) داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة، حيث تعرضوا لأقصى أنواع التعذيب قبل أن تحيلهم السلطات إلى المحكمة. وقد استغرب محامى الدفاع (الصهيونى)، والمكلف من قبل هيئة المحكمة فى جلستها الأولى يوم ١٢ سبتمبر ١٩٩٦، محاكمة هؤلاء الشبان أما المحاكم الإسرائيلية، قائلاً (إنه لأول مرة فى التاريخ، تقدم دولة على محاكمة رعايا دولة أخرى، بتهمة التعامل مع العدو، بسبب تعاونهم مع دولتهم، وعلى أرض هذه الدولة).

والدوريات المنتظمة وقوات الجيش الجنوبى العميل..؟

وكيف اقتيدا ومعهما طفلان أحدهما رضيع لمسافة خمسين كيلو مترا عبر الوديان والدروب والجبال والغابات والكمائن والأسلاك والعملاء..؟

إن تلك لأسطورة حقيقية رائعة تفيض بالبسالة والجرأة والعقول الذكية الحصيفة.. بل إنها إحدى روائع الأعمال المخابراتية التى لم يكشف بعد عن أسرارها.

لقد فقد العدو الإسرائيلى اتزانه .. وانهار رجاء ورد ورجاله عندما ظهر أحمد الحلاق على شاشات التلفزيون اللبنانى منهارا.. ليعترف على الملأ بأنه خدع هو وزوجته .. وأن إسرائيل شر النجاسات على الأرض .. حيث استغلوه أسوأ استغلال ليقتل أبناء وطنه .. ويدمر بنيانه الاجتماعى المتكامل..

وقالت حنان الياسين .. إن الإعدام أكرم ألف مرة مما لاقوه فى الجنوب، كاشفة عن مساحة كبيرة أعلى صدرها وهى تقول:

«لقد نهش خنازير اليهود جسدى من أجل إطعامنا .. إنهم قطيع من الخنازير النجسة المتوحشة».!

اللطـمة..!!

كـانت اللطمـة عنيفـة جـدا ومفاجئـة.. إذ لم يتصـور الإسرائيليون مدى تعـاظم قـوة حـزب الله لدرجـة انـتزاع الحـلاق وأسرته من بين أحضانهم .. فى عمليـة مخابراتيـة ذكيـة خارقـة تحولـت معـها أسـطورة الموسـاد المزعومـة إلى أضحوكـة يتنـدر بـها العالم.

أما فى بيروت .. فالفرحة كانت غامرة.. وتلقت قيادات حـزب الله التهانى من داخل لبنان وخارجه، وأمر الشيخ حسـن نصـر الله بكفالة طفلـى أحمـد الحـلاق وحنـان الياسـين .. ورعايتـهما تحـت إشراف الحزب بإحدى دور الرعاية المنتشرة ..

وخوفا من أن يطول الأذى أسرتى العميلين أعلـن الأمـين العـام أن ذلك ليس مـن تعـاليم الإسلام.. فـالأهل أبريـاء مـن إثـم الأبنـاء الذين جنحوا إلى الخيانة والتعامل مع الأعداء.

وفـى التحقيـق مـع الحـلاق وزوجتـه.. الـذى كـان منفـردا فـى البداية.. حاول الحـلاق المراوغـة وادعـاء الخبـل، لكـن الأدلـة التـى واجهها أحكمت حوله جريمة التفجير.

أخيرا .. انهار احمد الحلاق وراح فى نوبة تشنج هستيرية بعدما أطلعوه على صور الجثث المتقطعة التى خلفها الانفجار .. وصور المصابين الذين فقد بعضهم أطرافهم .. وكان من بينهم طفلة فى السابعة من عمرها فشلت الجراحات فى ربط ساقها المبتورة.

وتوالت اعترافاته المذهلة .. التى أدهشت المحققين معه.. فالصور البشعة التى أطلعوه عليها زلزلته من الأعماق .. وكسرت إرادته .. وحركت فيه ضمير الإنسان الذى مات بداخله منذ زمن. فاعترف صراحة بأنه عميل للموساد .. ولأجل المال والثراء باع ضميره وأهله ونفسه ووطنه.. وأن زوجته كانت شريكته فى عملياته التجسسية وذراعه الأيمن ، حيث قاده حبه الأعمى لها إلى مصيره المحتوم.

كذلك جاءت اعترافات حنان الياسين سهلة بدون مراوغة.

فبالرغم من حالة الانهيار التى أصابتها، كانت ما تزال تحتفظ بوجهها البرىء، الجميل، الساحر.. ودقة اختيارها للألفاظ بعناية شديدة .

ففى البداية أكدت أن زوجها برئ لأنها هى التى تصيدته

وأوقعته فى حبها بغية استقطابه .. وسعت كثيرا إلى ذلك حتى استحوذت على عقله ومشاعره ..

لكنها أحبته غصبا عنا دون أن تقصد .. فأشفقت عليه طريق الخيانة والجاسوسية وصارحته فى لحظة حب ملتهبة بحقيقة اتصاله بالموساد..

إلا أنها فوجئت به لا يهتم، بل ازداد تمسكا بها على عكس ما كان متوقعا.. فانقادت فى الطريق دون أن تفكر أو تتوقع عواقبه إلى أن صارحها برغبته فى الزواج منها .. والانتقال للعيش معا فى بيروت لكن الرائد رجاء ورد رفض تلك الخطوة ورفض الزواج من أصله..

والسبب فى ذلك أنه كان يريدها إلى جواره .. فقد سبق أن استغلها جنسيا فى بداية عملها معه.. وانتهكها العديد من رجاله فى الوحدة ٥٠٤ لأيام طويلة أثناء الدورات التدريبية وبعدها قاصدا من ذلك رضوخها التام .. واستسهالها منح جسدها بدون تفكير أو تذمر، لاستغلاله فى عمليات التجسس وجلب المعلومات والأخبار من المرضى بمستشفى الناقورة والزائرين على حد سواء.

وصرحت عميلة الموساد بأنها حملت من رجاء ورد ومن

رجاله وأجهضت ثلاث مرات قبلما تتعرف بالحلاق، لو لم يتدخل النقيب رينيه البياضى لإنقاذهما.

وفى الوقت الذى كان فيه زوجها يدافع عن نفسه متهما إياها بأنها السبب فى جره إلى الموساد، كانت حنان تبرئه وتدين نفسها.. وتلقى على عاتقها مسئولية كل العمليات التجسسية التى نفذت ضد حزب الله.

إنه تناقض عجيب وأمر يدعو للدهشة بحق.. فالحب بين أفعوان وحية كالحلاق وزوجته .. هو ذات الحب الذى يعرفه بقية البشر على اختلافهم .. الحب هو الحب .. مصدر السعادة .. أو الشقاء كله.

انتهت اعترافات عميلى الموساد .. وفى الثلاثاء ١٩ مارس ١٩٩٦ مثلا أمام المحكمة العسكرية الدائمة فى بيروت .. وكانت برئاسة العميد الركن الطيار زيد حلاوى.. ومفوض الحكومة اللبنانية لدى المحكمة القاضى ميسر شكر. حيث حكم على أحمد الحلاق بالإعدام، بينما حكم على حنان بالسجن خمسة عشرة عاماً.

وفى يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٩٩٦ نفذ حكم الإعدام فى عميل الموساد الذى طلب ضمن آخر ما طلب قبيل إعدامه، تقبيل

زوجته حنان، إلا أن طلبه هذا رفض.

وعندما علمت حنان بأنه أعدم قبلما تتمكن من رؤيته، انتابتها نوبة نشيج طويلة، انتهت بإغمائها ونقلت على أثرها إلى العيادة الطبية داخل السجن، حيث بقيت تحت رعاية طبية مكثفة، وتوقع البعض بأنها ربما تفكر بالانتحار.. لكنها إلى الآن مازالت تقبع بين جدران السجن.. تجتر الماضي وتسبح بين أنسجته .. تتخيل دفء أيام عشق لم تطول[1] ..!!!

(١) نشرت القصة بجريدة « اللواء العربى» القاهرية خلال عام ٢٠٠١، ضمن حلقاتنا عن: «المخابرات والجاسوسية فى القرن العشرين». وجاءت تفاصيلها بكتابنا : (أحمد الحلاق .. أول جاسوس أعدم فى لبنان) .

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com